

مَجَلَّةُ تَدْرِيْسٍ



أَوَّلًا: البُحُوثُ

البحث الأول :

بِلاَغَةُ الْقُرْآنِ فِي تَدْنِيلِ الْآيَاتِ
دِرَاسَةً تَأْصِيلِيَّةً



أ.د. أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّرْقَاوِيَّ

أستاذ التفسير وعلوم القرآن وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر.
والأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة الشارقة سابقاً

sharkawe2000@yahoo.com

- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر في - التفسير وعلوم القرآن باطروحاته منهج الشيخ سعيد حوى في كتابه الأساس في التفسير (دراسة مقارنة)
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين جامعة الأزهر في التفسير وعلوم القرآن باطروحاته (المرأة في القصص القرآني) دراسة موضوعية مقارنة .
- من مؤلفاته :
 - المرأة في القصص النبوي.
 - الكتب السابقة في القرآن الكريم دراسة موضوعية
 - القرآن والحضارة، القرآن والكون، القرآن والمرأة.
 - صلاة الاستخارة، الصبر عند فقد الولد، يتيمة الدهر في تفسير سورة العصر، المنهل القدسي في فضائل ومعاني آية الكرسي، مناهج المفسرين، الوسيط في تاريخ التشريع، مناهج البحث والمكتبة الإسلامية.



﴿ ملخص البحث ﴾

من وجوه البلاغة القرآنية الفريدة تذييل الآيات بما يتناسب مع مضمونها، ويأتي مبينا ومقررا لمعانيها، ولقد وقف المفسرون عند هذه السمة القرآنية، وأمعنوا النظر فيها، وهذه الدراسة تدور حول بيان معنى التذييل، وأهمية دراسته، والفرق بينه وبين الفاصلة، وتبرز أهمية دراسة التذييل في وجوه منها: الاستعانة بهذا العلم على فهم كتاب الله، وإبراز جانب مهم من جوانب الإعجاز القرآني، وبيان مشكل التذييل، وردُّ شُبُهَاتِ المستشرقين وأعداء الدين حول الوحدة القرآنية. فضلا عن الاستعانة بهذا العلم في تثبيت حفظ القرآن، كما تعرض الدراسة لفوائد التذييل وأصول الوقوف على لطائفه، وسماته، ولقد استفاد الباحث من مراجع البلاغة والتفسير وعلوم القرآن، وعُني بالتأصيل لهذه الموضوع، مفرقا بين التذييل والفاصلة، مبينا أثر دراسة هذا العلم على فهم المعاني واستنباط الدقائق، ودفع الإيهام.

❁ كلمات مفتاحية :

بلاغة، تأصيل، تذييل، الآيات، القرآن.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله واهبِ النِّعمِ، وأشهد أن لا إله إلا الله واسعُ الجودِ عظيمُ الكرمِ، أرسلَ رسوله رحمةً لجميعِ الأممِ، وخصَّه بجوامعِ الكلمِ وأطيبِ الحِكمِ، وأكملَ له الدينَ وأتمَّ عليه النِّعمَ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أولي العزائمِ والهيمِ، وعلى من تبعَ سُنَّتهُ وسارَ على هديه على الوجهِ الأتمِّ.

وبعدُ:

فالقُرآنُ الكريمُ رسالةٌ خالدةٌ، ونِعَمٌ متجددةٌ، هدى ونورٌ، ومنهاجٌ ودستورٌ، وخطابٌ لكلِّ العصورِ، ورحمةٌ وشفاءٌ لما في الصدورِ، وتدبُّرُ القُرآنِ الكريمِ سبيلٌ إلى اقتطافِ ثمراته، واجتلاءِ أنواره، واقتباسِ هداياته، ومعرفةِ أحكامِهِ، والوقوفِ على لطائفِهِ وحِكمِهِ؛ ومما هو حريٌّ بالتدبُّرِ والإمعانِ ما خُتمتْ به الآياتُ من تذييلاتٍ، تنمُّ عن بلاغةٍ وافيةٍ، وتبيِّنُ عن حِكمٍ ساميةٍ.

وهذا بحثٌ في التذييلِ، كتبته منذ ثمانِ سنواتٍ، وكنت أعيد النظر فيه بين الفينة والأخرى، ولعله الآن جديرٌ بالنشرِ، وقد جعلته بعنوان «بلاغة القرآن في تذييل الآيات - دراسة تأصيلية». وأسأل الله القبول.

أهمية الموضوع

■ للموضوع أهمية بالغة، نجملها فيما يأتي:

(١) إبراز جانب من جوانب الإعجاز القرآني في تناسقه وجماله وروعته،



وتفرّده بهذا الأسلوب.

٢ (الرد على شبهات أعداء الإسلام الذين زعموا أن القرآن الكريم ليس له اتساق، ولا يجمعه سياق.

٣ (الاستعانة بهذه الدراسة على تدبّر كلام الله تعالى وفهمه وتفسيره.

الدراسات السابقة

قامت جامعة الأزهر بتكليف بعض الأساتذة ببحوث تطبيقية حول تذييل بعض الآيات، وكنتُ ممن كُلِّفْتُ بكتابة التذييل؛ فكتبت في حزب من القرآن، من سورة آل عمران، ومن سورة النساء، سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، وتم تحكيم هذا البحث وإجازته من قِبَل اللجنة العلمية الدائمة لترقيات الأساتذة، وكنتُ أرجع إليه بين الفينة والفينة، ثم قررتُ إعادة كتابته مع التركيز على الجانب التأصيلي، والتمثيل لكل ما أذكر.

لكن لم أجد دراسة تأصيلية لهذا الموضوع باستثناء دراسة حديثة ظهرت عام ٢٠١٣م، لباحثة جزائرية، بعنوان «التذييل في القرآن - دراسة بلاغية - سورة البقرة نموذجًا»، نالت بها الباحثة فاطمة معزوز درجة الماجستير في الأدب، ولقد قرأتها فوجدت فرقًا كبيرًا بين دراستي وبينها من جهة التأصيل والتمثيل، ومن جهة المفاهيم والرؤى؛ فهي لم تضع تعريفًا محددًا لجمل التذييل القرآنية، وترى الباحثة أن جملة التذييل قد تقع في وسط الكلام، والذي اخترته أنها تقع في ختام الآية، وقامت بالمقارنة بين التذييل وأشياء أخرى ليست مناظرة له ولا ملتبسة به حتى تحتاج لمقارنة، كما أنها أطالت كثيرًا في قرابة ٥٠ صفحة في الكلام عن السياق بما يُعدّ عبثًا على البحث.



هذا بالإضافة إلى ما كُتِبَ في الفاصلة من الناحية البلاغية، وأهم الدراسات العلمية دراسة الفاصلة للأديب محمد الحسناوي، وباستثناء ذلك فالدراسات أخذت منحى التطبيق دون التأصيل، فعنيت دراستي بالتأصيل مع التمثيل، مع استفادتي بجهود السابقين.

✿ خُطَّةُ الْبَحْثِ

■ أما عن خُطَّتِي في هذا البحث، فهي على النحو الآتي:

- * قُمتُ بتقسيم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.
- * **المقدمة:** والحديث فيها عن أهمية الموضوع، وخطة البحث، ومنهجِهِ.
- * **تمهيد:** معنى التذييل، وأهمية دراسته. ويحتوي على مبحثين:
- * **المبحث الأول: تعريف التذييل في اللغة والاصطلاح، والفرق بينه وبين الفاصلة.**
- * **المبحث الثاني: أهميَّة دراسة التذييل في القرآن،** وقد اشتمل على ما يأتي:
 - أولاً: الاستعانة بهذا العلم على فهم كتاب الله.
 - ثانياً: إبراز جانبٍ مُهم من جوانب الإعجاز القرآني.
 - ثالثاً: بيان مُشكل التذييل.
 - رابعاً: ردُّ شُبُهات المستشرقين وأعداء الدين حول الوحدة القرآنية، وترتيب القرآن.
 - خامساً: الاستعانة بهذا العلم في تثبيت حفظ القرآن.
- * **الفصل الأول: فوائد التذييل وأصول الوقوف على لطائفه، وفيه مبحثان:**



* **المبحث الأول: فوائد التذييل:** وقد اشتمل على ما يأتي:

- أولاً: التبيين.
- ثانياً: تقرير المعاني.
- ثالثاً: جمال العبارة.
- رابعاً: إثراء المَعْنَى.
- خامساً: حُسْن التعليل.
- سادساً: حُسْن الخِتام.
- سابعاً: الاحتراس.
- ثامناً: التنوع والتفنُّن.
- تاسعاً: التعميم.

* **المبحث الثاني: أصول الوقوف على لطائفه،** وقد اشتمل على:

- أولاً: مراعاة مقاصد القرآن الكريم.
- ثانياً: الدراية باللغة العربية وأساليبها وفنونها.
- ثالثاً: مراعاة قواعد التفسير وأُصُوله.
- رابعاً: النظرة الكلية للسورة.
- خامساً: النظر في السياق.
- سادساً: التذوق وصفاء الذهن ومعايشة القرآن.

* **الفصل الثاني: فنون التذييل وسماته.** وفيه مبحثان:



* **المبحث الأول: من فنون التذييل في القرآن.** وقد اشتمل على:

- أولاً: التميم.
- ثانياً: التصدير.
- ثالثاً: التوشيح.
- رابعاً: التمكن.
- خامساً: الإيغال.

* **المبحث الثاني: من سمات التذييل:**

- أولاً: مراعاة الفاصلة.
- ثانياً: التناسب.
- ثالثاً: التعميم.
- رابعاً: الوضوح والبيان.
- خامساً: التكرار.
- سادساً: العمق والدقة.
- سابعاً: التنوع والتفنن.

* **ثم الخاتمة وقد ضُمَّتْهَا:**

- خلاصة البحث ونتائجه.
- أهم التوصيات.
- ثبثاً بمراجع البحث.
- فهرس الموضوعات.

منهج البحث

يجمعُ هذا البحثُ بين المنهج التحليلي والمنهج الاستنباطي، حيثُ التأملُ والتدبُّرُ والاستنتاجُ والاستخلاصُ، والاستنباطُ، إضافةً لما يأتي:

١ (القيام بدراسة تذييلات القرآن دراسة تدبرية؛ للوقوف على خواصها ولطائفها.

٢ (الاطلاع على ما كُتِبَ عن فن التذييل، وكذلك الفاصلة قديمًا وحديثًا.

٣ (رجعتُ إلى ما تيسَّر لي الرجوعُ إليه من كتب التفسير وعلوم القرآن، حتى تكونتِ الفكرةُ واتضحت الرؤيةُ، فبدأتُ بالدراسة النظرية؛ حتى تكونَ عونًا وضياءً على فهم معاني التذييل واستخراج لطائفه ودُرره.

٤ (الجمع بين التأصيل والتمثيل؛ لإبراز روائع أسلوب التذييل وجلال مقاصده.

٥ (الآيات القرآنية منسوخةً برسم المصحف العثماني، مع بيان اسم السورة ورقم الآية.

٦ (ضبطُ الأحاديث والآثار مع تخريجها، وبيان حكمها، وتوضيح غريبها.

٧ (ضبطُ الأشعار وعزُّوها إلى من قالها، مع بيان مَوْضِعِ الشاهد منها إذا احتاجَ إلى بيانٍ.

وبعدُ:

فهذا جهدُ المُقِلِّ، فإن كان فيه من خيرٍ، فله الحمدُ وله الفضلُ، وأسألهُ تعالى القَبُولَ، فهو خيرُ مأمولٍ، وإن كان فيه من تقصيرٍ، فأرجو من القارئ الكريم أن ينظر لي بعينِ الوُدِّ، ويدعو لي بالمغفرة والرحمة.

وَصَلِّ اللّٰهُمَّ عَلَى مَعْلَمِ النَّاسِ الْخَيْرِ وَالْحِكْمَةِ، نَبِيِّنَا وَإِمَامِنَا وَقُدُوتِنَا مُحَمَّدٍ
نَاصِحِ الْأُمَّةِ، وَمَنْ كَشَفَ اللَّهُ بِهِ الْغُمَّةَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْفَضْلِ وَالْهِمَّةِ،
وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِصَدَقٍ وَعَزْمَةٍ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.



تَهْيِيد

﴿مَعْنَى التَّذْيِيلِ وَأَهْمِيَّةُ دِرَاسَتِهِ﴾

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

﴿تَعْرِيفُ التَّذْيِيلِ فِي اللُّغَةِ وَالْإِصْطِلَاحِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَاصِلَةِ﴾

✽ أَوَّلًا: التَّذْيِيلُ فِي اللُّغَةِ:

أَصْلُهُ مِنَ الذَّيْلِ وَهُوَ: آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ طَرَفُ الثَّوبِ، وَرِدَاءُ مُذَيَّلٍ: طَوِيلُ الذَّيْلِ، وَذَيْلُ الْمَرْأَةِ: طَرَفُ رِدَائِهَا، وَذَالَتِ الْمَرْأَةُ تَذْيِلًا: جَرَّتْ ذَيْلَهَا عَلَى الْأَرْضِ وَتَبَخَّرَتْ، وَقَدْ ذَيَّلَ ثَوْبُهُ تَذْيِيلًا، وَمِنْهُ قَوْلُ طَرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ:

فَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلِيدَةٌ مَجْلِسٍ تُرِي رَبَّهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ ^(١) مُمَدَّدٍ ^(٢)

وَفِي الْحَدِيثِ «عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمْ تَجْرُ الْمَرْأَةُ مِنْ ذَيْلِهَا؟ قَالَ (شِبْرًا)، قُلْتُ إِذَا يَنْكَشِفُ عَنْهَا! قَالَ: (ذِرَاعٌ لَا تَزِيدُ عَلَيْهِ)» ^(٣).

(١) ذالت: ماست، وتبخترت الناقة في مشيتها كما تتبختر وليدة، أي صبية عُرِضَتْ عَلَى أَهْلِ مَجْلِسٍ، فَأَرَخَتْ ثَوْبَهَا، وَاهْتَزَتْ بِأَعْطَافِهَا، أَوْ تَرَاقَصَتْ حَتَّى دَارَ ذَيْلُ ثَوْبِهَا، وَالسَّحْلُ: الثَّوبُ الْأَبْيَضُ النَّقِيُّ وَالْمَمْدَدُ الَّذِي يَنْجُرُ فِي الْأَرْضِ. يَرِاجِعُ شَرْحَ الْقِصَائِدِ الْعَشْرِ، أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ التَّبْرِيزِيُّ (ص: ٧٧).

(٢) يَرِاجِعُ: لِسَانُ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ ١١/ ٢٦٠، وَمَخْتَارُ الصَّحَاحِ لِلرَّازِيِّ ١/ ٢٢٦، وَالْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ لِلْفَيْوُمِيِّ ١/ ٢١٣، وَتَاجُ الْعُرُوسِ لِلزَّيْدِيِّ ٧/ ٣٢١ مَادَّةُ ذِي ل.

(٣) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي السَّنَنِ كِتَابُ الزَّيْنَةِ - بَابُ ذِيُولِ النِّسَاءِ حَدِيثٌ ٥٣٣٧، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ فِي السَّنَنِ كِتَابُ اللَّبَاسِ بَابُ ذَيْلِ الْمَرْأَةِ كَمْ يَكُونُ؟ حَدِيثٌ ٣٥٨٠، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ٦/ ٢٩٥ وَ٣٠٩، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السَّنَنِ ٢/ ٢٣٣ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ صَفِيَّةِ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا إِسْنَادُ رَجَالِهِ ثِقَاتٌ لَوْلَا عَنْعَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ لَكُنْهُ تَوْبَعٌ، فَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ =



❁ ثانياً: التذييل في الاصطلاح:

جاء في سرّ الصناعتين: «التذييل: إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكّد عند من فهمه»^(١)، وهذا تعريفٌ ليس جامعاً مانعاً؛ إذ تشمل الإعادة على إطلاقها، دون تقييد بختام الجملة، كما أنه أدرج في التعريف مقصود التذييل.

وفي سرّ الفصاحة: «وأما التذييل: فهو العبارة عن المعنى بالفاظٍ تزيدُ عليه»^(٢). وليس هذا التعريف بالجامع المانع.

وجاء في كتاب البديع في نقد الشعر: «اعلم أن التذييل: هو أن تأتي في الكلام جملةً تحقق ما قبلها، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وكذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠]، ﴿وَهَلْ يُجِزِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] وهو كثير في القرآن»^(٣). ولم يبين أسامة بن منقذ في تعريفه موقع جملة التذييل.

وفي الإيضاح: «التذييل: تعقيبُ الجملةِ بجملةٍ تشتملُ على معناها للتوكيد»^(٤). ولم يُشر القزويني إلى موقع جملة التذييل التي تأتي في ختام الكلام، كذلك لم يبين مقاصد التذييل الأخرى كالتبيين، ودفع الإيهام، والتعميم.

= ١٠٥ / ٣: عن أبي بكر بن نافع عن أبيه نافع مولى ابن عمر به، ومن طريق مالك أخرجه أبو داود في السنن، كتاب اللباس باب في قدر الذيل ١٨٤ / ٢ حديث ٣٥٩٠، وابن حبان في صحيحه حديث ١٤٥١، وأبو بكر بن نافع ثقة من رجال مسلم؛ فالإسناد صحيح على شرطه.

(١) كتاب «الصناعتين» لأبي هلال العسكري، الفصل الرابع عشر في التذييل ص ٢٨٥.

(٢) سرّ الفصاحة، لابن سنان الخفاجي ص ١٦٤: ١٦٧، ويراجع تلخيص المفتاح للقزويني ص ٢١١.

(٣) البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، باب التذييل ص ٥٣ باختصار.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين القزويني باب الإطناب ص ١٩٠، ويراجع: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، للأستاذ أحمد مصطفى المراغي ص ١٧٧.



وجاء في تحرير التحرير: «التذيل: هو أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام، وتلك الجملة على قسمين: قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق، وقسم يخرج المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله»^(١). قلت: بل جملة التذيل مع كونها محققة ومبينة لما قبلها إلا أنها تثير المعنى، وتضيف معنى زائداً.

■ ويلاحظ على هذه التعريفات:

- * أنها تشمل التذييلات الواردة في القرآن، وكذلك ما ورد في كلام العرب من نشرٍ وشعرٍ.
- * الغرض من التذيل: تحقيق المعاني وتوكيدها وتقريرها، فضلاً عن الإيضاح والتبيين.
- * أن التذيل عند علماء البلاغة قد يقع في وسط الكلام، أو في آخره.
- * التوافق والانسجام بين معنى جملة التذيل والكلام المُذِيل.
- * جملة التذيل القرآنية مستقلة بلفظها ومعناها غالباً، فتفسير مثلاً سائراً يحسن اقتباسه.

ولا يختلف كثيراً تعريف التذيل عند علماء التفسير وعلوم القرآن عن تعريف البلاغيين؛ ففي البرهان والإتقان: التذيل: «أن يأتي بجملة عقب جملة، والثانية تشتمل على المعنى الأول؛ لتأكيد منطوقه أو مفهومه؛ ليظهر المعنى لمن

(١) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الأصبع باب التذيل ص ٣٨٧، ويراجع في ذلك: خزانة الأدب وغاية الأرب، لتقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي ١/ ٢٤٢، ومعجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة ص ٢٣٤، والمعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني د. إنعام نوال عكاوي ص ٣٠٠، وجاء في التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: «التذيل: تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتأكيد» التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي ١/ ١٦٨.



لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه»^(١).

ولم يحدد لنا الزركشي موقع جملة التذييل، كما أن جملة التذييل تأتي تعقيباً لجملة أو أكثر، لا لجملة واحدة.

والذي أراه أن جملة التذييل: جملة مستقلة تأتي في ختام الآية بعد تمام المعنى لبيانه وتقريره.

جملة مستقلة لفظاً ليس لها تعلق لغوي بما قبلها، بل هي مستأنفة غالباً، وقد تأتي مقرونة بحرف العطف.

تأتي في ختام الآية: فالتذييل هو في خواتيم الآيات ولا يكون في وسطها، لبيان المعنى وتوضيحه أو دفع إيهام، ولتقريره: لتوكيده وتحقيقه.

والتذييل قد يقع ختاماً لآية، أو لآيتين، أو أكثر.

فخرج بذلك: الجملة المتصلة بما قبلها لفظاً: كالواقعة في جواب الشرط، أو خبر المبتدأ وغيرها، فليست تذييلاً؛ إذ لا يمكن فصلها عما قبلها فلا تستقل بمعنى، لذا فلن نتوقف في دراستنا التطبيقية عند الآيات التي لم تختم بتذييل: أي بجملة مستقلة محققة لما قبلها من المعنى.

❁ ثالثاً: الصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

الصلة بينهما واضحة جليلة؛ فذيل الشيء هو نهايته، وذيل الثوب طرفه، وذيل الكلام آخره ومُنْتَهَاهُ، والتذييل هو الجملة التي ترد بعد تمام المعنى؛ للبيان أو التقرير أو لكليهما معاً، فكأنه شبه هذه الجملة لزيادتها، وكون المعنى يتم بدونها

(١) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) - النوع الخامس عشر ٣ / ٦٨، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) - ١ / ٣١٤.



بالزائد من ذيل المرأة الذي ينجرُّ على الأرض، فيزيد الثوب حُسناً وتأنُّقاً، وقد جَرَّتِ الأذواقُ على ضرورةِ التناسقِ بين الثوبِ وذيله، من جهةِ الألوانِ والنقوشِ والخيوطِ وغيرها، مع مراعاةِ التنوعِ والتفننِ والتناسبِ في الشكلِ، شأنُ التذْيِيلِ الذي لا بدَّ وأن يتناسبَ مع سابقه، ويدلُّ عليه ويقرِّره ويزيده روعةً وحُسناً، والتذْيِيلُ يكونُ في النثر والشعرِ، وهو لونٌ من ألوانِ البلاغةِ وفنٌّ من فنونها، وهو من روائعِ أساليبِ القرآنِ وبدائعِ نظمِهِ.

❁ رابعاً: الفاصلة في اللغة والاصطلاح:

■ ١- الفاصلة في اللغة:

من الفصل والبيان، قال الأزهري: «وأواخرُ الآياتِ في كتابِ الله فَوَاصِلُ، بِمَنْزِلَةِ فَوَافِي الشَّعْرِ، وَاحِدَتُهَا فَاصِلَةٌ...»^(١).

وقال ابن منظور: «الفواصلُ أواخرُ الآياتِ في كتابِ الله»^(٢)، «وسُمِّيَتْ فَوَاصِلُ؛ لأنه ينفصلُ عندها الكلامان، حيث إن آخرَ الآيةِ فَصْلٌ بينها وبينَ ما بَعْدَهَا»^(٣).

■ ٢- الفاصلة في الاصطلاح:

جاء في البرهان للزركشي: «الفاصلةُ كلمةٌ آخرُ الآيةِ كفايةُ الشعرِ وقرينةُ السجعِ»^(٤). وعَرَّفَهَا الرُّمَّانِيُّ والباقِلَانِيُّ بِأَنَّهَا: «حُرُوفٌ مُتَشَاكِلَةٌ فِي الْمَقَاطِعِ، يَقَعُ بِهَا إِفْهَامُ الْمَعَانِي»^(٥).

(١) تهذيب اللغة للأزهري: أبي منصور الأزهري ١١٨/١٢ باب الصاد واللام مادة «ف ص ل» باختصار.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١١/١٨٩، ويراجع كتاب التوقيف على مهمات التعاريف، للإمام المناوي ص ٥٥٨.

(٣) الفاصلة القرآنية، للدكتور عبد الفتاح لاشين ص ٦.

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٥٣ النوع الثالث: معرفة الفواصل ورؤوس الآي، ويراجع:

الإتقان في علوم القرآن، النوع التاسع والخمسون: في فواصل الآي ٢/ ٩٦.

(٥) النكت في إعجاز القرآن، للرماني ص ٩٧، وإعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني ص ٢٧٠، ويراجع: مرشد

الخلان، عبد الرازق على إبراهيم موسى ص ٣٤.



وقيل في تعريفها: «هي الكلمة التي تُخْتَمُ بها الآية، وبها يتم معناها، ويزداد وُضُوحًا وجلاءً»^(١)، وعلى هذا فليس كل خِتَامِ آيةٍ فاصلةً؛ لأن الآية قد تُخْتَمُ قبل تمام المعنى.

وعرّفها أبو عمرو الداني بأنها «كلمة آخر الجملة» قال: «وأما الفاصلة: فهي الكلام التام المنفصل عما بعده، والكلام التام قد يكون رأس آية وكذلك الفواصل، يكن رؤوس أي وغيرها، فكل رأس آيةٍ فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعمّ النوعين وتجمع الضربين»^(٢).

وعرّفها د. أحمد بدوي: بأنها الكلمة التي تُخْتَمُ بها الآية من القرآن^(٣).
واختار الأديب محمد الحسناوي في كتابه «الفاصلة في القرآن»، أن الفاصلة: «هي كلمة آخر الآية: ككافية الشعر، وسجعة النثر»^(٤).

وفرّق د. السيد خضربين تعريف الفاصلة من جهة الصوت، ومن جهة الدلالة، أما بالاعتبار الصوتي فهي آخر كلمة في الآية، وأما باعتبار الدلالة فيقول: «وباعتبار الدلالة نجد جملة الفاصلة، وفيها تكون كلمة الفاصلة جزءًا من تركيب جملة مستقلة في نهاية الآية، وهي جمل تأتي للتعقيب أو لتقرير مضمون الآية غالباً»^(٥).

قلت: وليس كل فاصلة قرآنية جزءًا من تذييل؛ إذ كل آية لها فاصلة، وإن لم تختم بتذييل.

(١) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم نذير حمدان ص ٤١.

(٢) البيان في عد أي القرآن، لأبي عمرو الداني ص ١٢٦.

(٣) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي ص ٧٥.

(٤) الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي ص ٢٩.

(٥) الفواصل القرآنية دراسة بلاغية، للدكتور السيد خضر ص ٥٧.



❁ خامساً: بين التذييل والفاصلة:

- * الفواصل تقع في الشعر والسجع وغيرهما من فنون الكلام كما تقع في كتاب الله تعالى.
- * الفاصلة هي المقطع الأخير من الكلمة الأخيرة في الآية، تمَّ بها المعنى أم لم يتمَّ.
- * التذييل تقريرٌ للمعنى وبيانٌ له.
- * التذييل لا يقع إلا بجملة، أما الفاصلة فالمقطع الأخير من آخر الآية.
- * لكلِّ نهاية آيةٍ فاصلةٌ، وليس لكلِّ آيةٍ تذييلٌ.
- * الفاصلة للآية كالقافية للبيت، بها يعرف ختامُها، ويُراعى في الفواصل غالباً التوافق اللفظي والانسجام الصوتي، مع السياق.
- * معرفة الفواصل أمرٌ يسيرٌ، بينما الوقوف على التذييل يحتاج لدراسة وتدقيق.
- * درج بعض المفسرين والبلغاء على الاكتفاء بمراعاة الفواصل كتعليل، وربما يغلق بذلك الباب عن النكات البلاغية واللطائف والدقائق المعنوية التي تُحجبُ عن القارئ، فلا يرى سوى مراعاة الفاصلة، أو رعاية الفواصل.



المبحث الثاني

﴿أَهْمِيَّةُ دَرَسَةِ التَّذْيِيلِ فِي الْقُرْآنِ﴾

✽ تَذْيِيلُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

سمةٌ فريدةٌ من سمات القرآن الكريم، تدلُّ على بلاغته وروعته، وجماله وجلاله، وتُعِينُ على فهم المعنى، واستنباط الأحكام، من هنا مسَّت الحاجةُ إلى الوقوف عند تذييلات الآيات، وإطالة النظر فيها، وإبراز معانيها، وبيان تناسبها وتأخيها.

وفيما يلي أتناول أهمية التذييل، بشيء من التفصيل، فأقول - وعلى الله قصدُ السبيل - :

✽ أَوَّلًا: الاستعانة بهذا العلم على فهم كتاب الله :

أَمَرَنَا اللهُ بِتَدْبِيرِ كِتَابِهِ وَإِمْعَانِ النَّظَرِ فِي مَبَانِيهِ وَمَعَايِشِهِ مَعَانِيهِ وَتَذَوُّقِ أَسَالِيهِ وَتَتَبُّعِ تَرَكَيبِهِ؛ لاستنباط الأحكام، واستجلاء المعاني، وإن دراسة أساليب التذييل: مما يُعِينُ على فهم معنى محكم التنزيل، ويبيِّن عن كثيرٍ من اللطائف والدقائق.

قال الرماني: «الفواصل: حروفٌ متشاكلَةٌ في المقاطع، توجبُ حُسْنَ إِفْهَامِ المعاني»^(١).

تأمل في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ الْإِنْسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمُطَلَقَاتِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ۝١٢٩﴾ [النساء: ١٢٨، ١٢٩].

(١) إعجاز القرآن للرماني ضمن كتاب ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق محمد زغلول سلام ص ٩٧.



* لماذا خُتِمَت الآية الأولى بـ ﴿وَأِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وخُتِمَت الثانية بـ ﴿وَأِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾؟

فَالْآيَةُ الْأُولَى: إذا خافت الزوجة إعراض زوجها وانصرافه عنها، فلها أن تتغاضى عن بعض حقوقها في النفقة أو في المبيت إرضاءً لزوجها، فإذا اتفقا على ذلك فلا بأس، إبقاءً للعشرة بينهما، فالصلح خير، وإن ترتب عليه التغاضي عن بعض الحقوق؛ ذلك أن النفس قد جُبِلَتْ على الشُّح، يحرص الإنسان على نيل حقوقه كاملة، وربما قَصَّر في حقوق غيره، لكن إذا وفَّى الإنسان حقَّ غيره وتنازل عن بعض حقوقه، فهذا من باب السماحة، ومن شيم أهل التقى والإحسان، لذا كان تذييل الآية بقوله تعالى: ﴿وَأِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: أي وإن تحسنوا في صلتكم بربكم بمراقبته تعالى، وتحسنوا في تعاملاتكم مع الناس، ﴿وَتَتَّقُوا تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسان والتقوى وسائر الأعمال، ﴿خَبِيرًا﴾: بطبائع النفوس وبواعثها، ﴿خَبِيرًا﴾ ببواطن الأمور وظواهرها، ﴿خَبِيرًا﴾ بأعمالكم يجازيكم عليها، «فالإحسان والتقوى هما مناط الأمر في النهاية، ولن يضيع منهما شيء على صاحبه، فإن الله خير بما عمله كل نفس؛ خير ببواعثه وكوامنه. والهُتَافُ للنفس المؤمنة بالإحسان والتقوى، والنداء لها باسم الله الخبير بما تعمل، هُتَافٌ مؤثر، ونداءٌ مُستجاب، بل هو وحده الهُتَافُ المؤثِّر والنداءُ المستجاب»^(١). «وإن تحسنوا بإمساكنهم بمعروفٍ وحسنِ المعاشرة، مع عدم موافقتهم لطباعكم، وتَّقُوا ظلمهم بالنشوز والإعراض، فالله تعالى يثيبكم عليه»^(٢).

(١) في ظلال القرآن ٢ / ٢٥٢.

(٢) حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البضاوي ٢ / ٤٥٠. ويراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٠٧/٥.



وفي الآية الثانية: دعوة الأزواج إلى الإصلاح والتقوى، بالعدل بين الزوجات والوفاء بحقوقهنّ وحُسن معاشرتهم، فمن فَعَلَ ذلك غَفَرَ اللهُ له ما سَلَفَ من إفراطٍ وتفريطٍ، وعَفَا عما بَدَرَ منه من ميلٍ قلبيٍّ لا سلطانَ له عليه. ولمَّا كان الميلُ المنهِي عنه ظلمًا، هو الميلُ الماديُّ في النفقة والمسكنِ والقسمة، وجاءت الدعوةُ إلى تحرِّي العدل والإنصاف، والسعيِّ للإصلاح بقدر المستطاع، نَاسَبَ ذلك البشارة بالمغفرة والرحمة على ما فات قبل نزول هذه الآيات، أو على ما ليس بوسع الإنسان طالما أنه اجتهدَ بقدرِ طاقته إلى مراعاة حدِّ العدالة والإصلاح.

❁ ثانياً: إبراز جانبٍ مهمٍّ من جوانب الإعجاز القرآني:

فالبحثُ فيه يكشفُ عن تناسبٍ دقيقٍ وترابطٍ عميقٍ بين صدرِ الآية وما تضمَّنَتْه من معانٍ، وبين ختامها حيث تقريرُ المعاني وتوكيدها، والتذييلُ يزيِدُ المُذَيِّلَ حُسْنًا ورونقًا وروعةً، فبالتذييل تزداد المعاني جلاءً، وتزدان الألفاظُ والعبارات روعةً وسناءً، وتتجلَّى لطائفُ الصلوات ودقائقُ المناسبات بين الآيات بما يكشفُ عن الوحدة الموضوعية للقرآن، ويبرزُ جانبًا من جوانب إعجازه البلاغي.

ولقد ذكر الباقلائي رَحِمَهُ اللهُ من وجوه إعجاز القرآن الوجه الثالث: «...أنه بديعُ النظم عَجِيبُ التأليف، متناهٍ في البلاغةِ إلى الحدِّ الذي يُعَلِّمُ عَجْزُ الخلق عنه...»^(١).

قال البوصيري:

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِدَمِ

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٥ ويراجع ما ذكره في ص ٣٧. ويراجع: النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٢٠٩ وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ص ٢٨٠، والأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى ٧ / ٣٦٠٢.



فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ
فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مَتَنَتِّظٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مَتَنَتِّظٍ^(١)

وقال د. محمد عبد الله دراز رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ النَّبَأُ الْعَظِيمُ: «لعمري لئن كان للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءته الصادقة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات، لعمري إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات»^(٢).

وقال الشيخ سعيد حوى رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإن مُنَزَّلَ هذا القرآن المحيط بكل شيء جعل في كتابه من أسرار الإعجاز، ومن تشابك الصِّلات بين سُورِهِ وآيَاتِهِ ما به يعرف أن هذا لا يمكن أن يكون إلا إذا كان مُنَزَّلَ هذا القرآن هو الله رب العالمين، الذي أحاط بكل شيء علماً»^(٣).

❖ ثَالِثًا: بَيَانُ مُشْكِْلِ التَّذْيِيلِ:

فقد تخفى وجوه المناسبة بين ختام الآية والسياق، وهنا تأتي أهميته دراسة هذا العلم والتعمق فيه لإيضاح المشكل ودفع ما يوهم ظاهره التعارض.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ۝﴾ [المائدة: ١١٨].

فهذا من المُشْكِْلِ، قال أبو حيان: «وظاهر قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(١) البردة للبوصيري، شرح البردة، تأليف السوسي على كان حيا قبل ١١٦١ مخطوط ٥، ٨١١ ش.س. ٤٦٨٦ بجامعة الملك سعود لوحة ٢٧.

(٢) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٢٠٩.

(٣) الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى ٧/ ٣٦٠٢. وينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ص ٢٨٠.



أنه جواب الشرط، والمعنى ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يمتنع عليك ما تريده، ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما تفعله تُضِلُّ من تشاء وتهدي من تشاء...»^(١).

قلت: في جواب الشرط مناسبة لطيفة؛ فإنه لما ادَّعى النصارى أن الله تعالى أرسل عيسى ابن مريم - وهو في زعمهم الباطل واعتقادهم الفاسد - ابنه الوحيد، الذي أرسله ليكون فداء وكفارة لخطايا البشرية، وكأنه تعالى - على زعمهم - عَجَزَ عن مغفرتها بغير هذا الأسلوب الغريب العجيب، من هنا يَبَيِّنُ سبحانه قدرته على المغفرة؛ حيث لا يمتنع عليه شيء، فإن شاء أن يُعَذِّبَ وإن شاء أن يغفر دون افتقارٍ إلى واسطةٍ أو وسيلةٍ تتنافى مع عزَّته تعالى وحكمته، والعقل السليم يمجُّ هذه العقيدة الملتوية التي تأبأها الفطرة السويَّة، وما هي إلا مضاهاةٌ لبعضٍ من الأديان الوثنية القديمة، والتي تحمِلُ أسطورةً الثالث والصلب والفداء.

كذلك لما جاء في صدر الآية على لسان المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ناسبَ ذلك مقام العزَّة والحكمة، فهو تعالى العزيز الغالب الذي لا يمتنع عليه شيء، وهو الحكيم في أقداره وأحكامه ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وقيل: المعنى إن تُبْقِهِم على كُفْرِهِم حتى يموتوا، وتُعَذِّبُهُمْ فإنهم عبادك، وإن تهدهم إلى توحيدك وطاعتك فتغفر لهم فإنك أنت العزيز الذي لا يمتنع عليك ما تريده، الحكيم فيما تفعله، تضلُّ من تشاء وتهدي من تشاء.

❖ رابعاً: ردُّ شبهات المستشرقين وأعداء الدين حول الوحدة القرآنية:

في دراسة هذا الموضوع ردُّ علميٍّ على أعداء الإسلام من الطاعنين في وحدة القرآن الكريم عموماً، وتناسب التذييل في القرآن على وجه الخُصُوص، حيث

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٤ / ٦٢، ويراجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦ / ٣٤٨.



أثاروا الشُّبُهَةَ حول ترتيبِ القرآن، وزَعَمُوا أن آيَاتِ الْقُرْآنِ لا يَجْمَعُهَا سِيَاقٌ، وأوصوا بإعادة ترتيبِ القرآن.

ففي دائرة المعارف البريطانية: أن القرآن لا حكمة في ترتيبه، واستدلوا على هذه الدعوى بالفواصل والتذييلات القرآنية، حيث جاء فيها: «وكان القرآن يعطي للقارئ أنه مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية، ويؤكد صحة ذلك طريقة ختم هذه الآيات، بآيات مثل: (إن الله عليم)، (إن الله حكيم)، (إن الله يعلم ما لا تعلمون)، وأن هذه الأخيرة لا علاقة لها مع ما قبلها، وأنها وضعت فقط لتتيمم السجع والقافية»^(١).

ويقول المستشرق الفرنسي بلاشير^(٢): «إن إعادة ترتيب السور الذي اقترحه [نولدكه]^(٣) ينال هنا كامل الأهمية؛ لأنه يلقي على المصحف أضواء مطمئنة، ويرد وضع النصوص إلى آفاق سهلة الإدراك لكونها مقرونة إلى السياق التاريخي المعقول (يعني وفق نزولها).

ويقول بلاشير أيضا: «ويتوصل القارئ الغربي إذ ذاك بمنطق لا تكلف فيه إلى الاقتناع بأن الحياة قد أعيدت للمصحف فما عاد يظهر على شكل متتابع مُصْطَنَع وغير منتظم للنصوص، بل على شكل سلسلة من الموضوعات عالجهها محمد خلال عشرين عامًا وفقا لمقتضيات دعوته».

(١) يراجع قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، للدكتور فضل حسن عباس ص ٧٩ - ٩٣.

(٢) مستشرق فرنسي من أشهر كتبه تاريخ الأدب العربي وكتابه القرآن: نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره - تراجع ترجمته في كتاب المستشرقون للأستاذ/ نجيب العقيقي (١/ ٣٠٩: ٣١٢).

(٣) مستشرق ألماني ت ١٩٣٠م له مؤلفات عديدة منها تاريخ النص القرآني - تراجع ترجمته في كتاب المستشرقون للأستاذ/ نجيب العقيقي (٢/ ٣٧٩: ٣٨٣).



ثم يقول في الموضوع نفسه: «والمهم منذ تلك اللحظة أن يقبل قارئ القرآن بالانقياد، وتدُلُّ التجربة فيما يبدو أن التقيد بالمراحل الزمنية للترتيب الذي اقترحه نولدكه وأخذ به بعض المترجمين يجعل قراءة المصحف سهلة بل ممتعة»^(١).

وما ذهب إليه بلاشير ومن قبله نولدكه أغرب إليه المستشرق اليهودي جولدزيهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي، حيث يقول: «إن القرآن في جميع الشوط القديم للتاريخ الإسلامي لم يحرز الميل إلى التوحيد العقدي للنص إلا انتصارات طفيفة»^(٢).

وأقول: إن التذييلات والفواصل القرآنية مبنية أولاً على مراعاة المعنى، وثانياً على اعتبار تناسب اللفظ والنظم، وإن كان مراعاة اللفظ والنظم ليس مطرداً، و**مرجع ذلك إلى أمور منها:**

- * أن المعنى هو الأصل، واللفظ والنظم تابع له.
- * التفنن والتنوع في الأساليب القرآنية، وهذا من سمات القرآن التي تفرّد بها عن غيره؛ ذلك أنه ليس بسجع ولا شعر، كما أنه ليس كالكلام المرسل، معاذ الله أن يشبه كلامه تعالى بكلام غيره.
- * الأسلوب القرآني سهل يسير لا تكلف فيه، بل يتسم بالرصانة والعمق، مع عذوبته وحلاوته.

❁ خامساً: الاستعانة بهذا العلم في تثبيت حفظ القرآن الكريم:

من فوائد دراسة التذييل أيضاً تثبيت حفظ القرآن الكريم، حيث يقع اللبس

(١) القرآن: نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، لبلاشير، ترجمة رضا سعادة ص ٢٣: ٤٤.

(٢) الإطناب.



أحياناً في ختام الآية، فيعينُ هذا العلمُ على تجنبِ ذلك، ولقد عُنِيَ العلماءُ والباحثون بالتأليفِ في الآياتِ المشتبهاتِ، جمعاً وتحليلاً^(١).



(١) ومن الكتب المؤلفة في ذلك: درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٢٠هـ)، ط دار الآفاق الجديدة بيروت، والبرهان في متشابه القرآن، للكرماني محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت ٥٠٠هـ)، ط دار صادر بيروت، ودار الاعتصام بالقاهرة، وملاك التأويل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، للإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) ط دار الغرب الإسلامي بيروت، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لبدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٣هـ)، ط جامعة الدراسات الإسلامية كراتشي، ودار الوفاء بالمنصورة.



الفصل الأول

﴿فوائد التذييل وأصول الوقوف على لطائفه﴾

المبحث الأول

﴿فوائد التذييل﴾

للتذييل فوائدٌ عديدةٌ، فهو لونٌ من ألوان الإطناب^(١) به تألفُ الجُمَلُ وتألَّفُها، وتعانقُ العبارات وتأنقُها، وانجلاءُ المعاني وتدقُّقُها، وهو من المحسِّناتِ البلاغية؛ حيثُ حُسِّنَ الختام، وبراعةُ المقطع، وتعانقُ الأطراف، وعمقُ الصِّلة، ومن الفوائدِ الجمَّة:

❁ أولاً: التبيين:

فالتذييلُ إيضاحٌ وتبيين، به انجلاءُ المعاني، وتبيانُ الحِكم، فالقرآن الكريمُ كتابٌ مبينٌ، آياته بيناتٌ وحججهُ ساطعاتٌ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤]، بل إن الهدف الأساسي للتذييل هو البيان، ومن المعلوم أن القرآن يُبين بعضه بعضاً.

تأمل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فِرْقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [١٠٠] وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ [آل عمران: ١٠٠، ١٠١].

جملة التذييل: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: وهي بيانٌ للمخرج من هذه الفتن، والعصمة من تلك المكائد، فمن يلوذ بجنابه ويديم طرق

(١) مذاهب التفسير الإسلامي لجولدزيهر ص ٥ ترجمة د عبد الحليم النجار.



أبوابه ويستمسك بكتابه، ينجيه من طُرُقِ أهلِ الزيغِ والضلالِ، ويهديه إلى صراطِهِ المستقيمِ.

قال القاسمي: «أي: من يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله، وهو الإسلام، والتوحيد، المعبر عنه بسبيل الله، فهو على هدى لا يضل متبعه.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون حثاً لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم - انتهى - فالجمله حينئذ تذييل لقوله: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا أَوْفِرَ بَقَاءً﴾... إلخ؛ لأن مضمونه أنكم إن طيعوهم لخوف شرورهم ومكايدهم، فلا تخافوهم والتجؤوا إلى الله في دفع ذلك؛ لأن من التجأ إليه كفاه»^(١).

وتأمل التذييل في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]، فلماذا أتى بصفة القدرة؟

قال أبو حيان: «وأتى بصيغة المبالغة في القدرة؛ لأنه تعالى لا يمتنع عليه شيء أرادته، وهذا تخويف، وبيان لاقتداره»^(٢).

❁ ثانياً: تقرير المعاني:

يأتي التذييل مقررًا لما سبقه من معانٍ، ومؤكداً لها، وهذه سمة من سمات البيان القرآني، حيث تتألف المعاني ويعضد بعضها بعضاً. تأمل في ختام الآية التي تدعو للتوبة دائماً بالمغفرة والرحمة المؤكدة بأساليب التوكيد؛ لفتح باب الطمع والرجاء واليقين في مغفرة الله والبشارة برحمته، فالمخطئ في أمس الحاجة لهذا التأكيد، ليُقبل على التوبة ويطمئن قلبه، فما من ذنب في القرآن مهما عظم ومهما

(١) محاسن التأويل للقاسمي ص ٩١٢، ويراجع الكشاف، للزمخشري (١/ ٤٢٢).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٣٨٣.



قبح، وما من تقصير أو تفريط، إلا وقد أعقبه القرآن بالدعوة للتوبة، وما من دعوة للتوبة إلا واقرنت وذيلت ببيان وتقرير مغفرة الله ورحمته، تأمل قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨﴾ يَضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، وقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥]، وأفاد التعبير بـ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: الدوام والاستمرار، أي كان ولا يزال^(١).

والجمعُ بين هذينِ الاسمينِ الجليلينِ ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يشيرُ إلى الكرمِ الغامِرِ، والفضلِ العميمِ، فهو تعالى مع تجاوزه عن الزلاتِ، وإقالتِهِ العثراتِ، وعفوه عن السيئاتِ، رحيمٌ بعباده، مُتَفَضِّلٌ عليهم يغمرهم بلطفه، ويشملهم بكرمه وإحسانه، وفي ذلك تقويةٌ لداعي الرجاءِ في حُصُولِ المغفرة، وشحذٌ للهِمَمِ. وتقديمُ المغفرة على الرحمةِ لأنَّه بالمغفرة تُستدرِكُ الرحمة، فهي سبيلُها ومُقدِّمُتها، بالمغفرة غُفِرَ لهم ما بَدَرَ من إفراطٍ أو تفريطٍ، وبالرحمة بَلَّغَهُمْ أَعْلَى المراتبِ وَمَنَحَهُمُ الأجرَ قَبْلَ تَمَامِ الأعمالِ، وبالمغفرة نَجَّاهُمْ من النيرانِ، وبالرحمة أدخلهم الجنان.

(١) قال الإمام السيوطي: «كان فعل ناقص... معناه في الأصل الماضي والانقطاع نحو ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأُولَدًا﴾ [التوبة: ٦٩]، وتأتي بمعنى الدوام والاستمرار نحو ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١] أي لم نزل كذلك، وعلى هذا المعنى تتخرج جميع الصفات الذاتية المقترنة بكان». الإتيان ١ / ١٩٢، وقريب من ذلك ما ذكره الإمام الراغب الأصفهاني: في المفردات ٢ / ٣٢٦.



وفي إثارة صيغة المبالغة ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [صيغة فعول وفعل] تأكيد^١ وبيان^٢ لشمول مغفرته تعالى وسعة رحمته، وفي ذلك ترجية لهم.

ومن تقرير المعنى أيضا: التذييل بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

جملة التذييل: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾: تنويه بمقام إبراهيم وحث^٣ على اتباع ملته، فقد اصطفى الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ واتخذه خليلاً.

قال الزمخشري: «وفائدتها استطراد لتأكيد وجوب اتباع ملته؛ لأنَّ مَنْ بَلَغَ مِنَ الزُّلْفَى عِنْدَ اللَّهِ أَنْ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا، كَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُتَّبَعَ»^(١).

ومن تقريرها ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠] من تذييل. فتأمل كيف ناسب هنا ذكر السعة، تقريراً لما تقدّم من توسعته.

قال الرازي: «... فهو تعالى واسع الرزق، واسع الفضل، واسع الرحمة، واسع القدرة، واسع العلم، فلو ذَكَرَ تعالى أنه واسع في كذا لا خِصَّ ذلك بذلك المذكور، ولكنه لما ذكر الواسع وما أضافه إلى شيء معين، دلَّ على أنه واسع في جميع الكمالات»^(٢). وناسب ذكر وصف الحكمة، لبيان أنه تعالى حكيم في سعته وفضله على عباده، حكيم في أحكامه وأقداره.

ولتقرير الأحكام: تُذَيَّلُ الأوامر بما يُرَغَّبُ فيها وَيُحَبِّبُهَا لِلنَّفُوسِ، وتُذَيَّلُ النواهي بما يَزْجُرُ عنها وَيُنْفِرُ مِنْهَا وَيُرْهَبُ مِنْ عَاقِبَتِهَا. من ذلك على سبيل المثال

(١) الكشف للزمخشري ١/ ٣٠١.

(٢) التفسير الكبير للرازي ١١/ ٦٩.



﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَائِهِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَلْسَمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

قال ابن عاشور: «تذليل للمنهيات المتقدمة وهو تعريض قويٌّ بأن ما نهوا عنه فسوق وظلم، إذ لا مناسبة بين مدلول هذه الجملة وبين الجمل التي قبلها لولا معنى التعريض بأن ذلك فسوق وذلك مذموم ومعاقب عليه، فدلّ قوله: ﴿بِئْسَ الْأَلْسَمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ على أن ما نهوا عنه مذموم؛ لأنه فسوق يعاقب عليه ولا تُزيله إلا التوبة؛ فوقع إيجاز بحذف جملتين في الكلام اكتفاء بما دل عليه التذليل»^(١).

ومن تذليل القصة المقرر لمعانيها قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايِينَآ فَاسْتَكْبَرَ مِنْهَا فَآتَيْنَاهُ الشَّيْطَانَ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١٧٦) [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، حيث وردت هذه القصة، وجاء التذليل منوهاً بأهمية القصص في التفكير والاعتبار.

قال ابن عاشور: «... وهذا تذليل للقصة الممثل بها يشملها وغيرها من القصص التي في القرآن، فإن في القصص تفكيراً وموعظة، فيرجى منه تفكيرهم وموعظتهم؛ لأنّ للأمثال واستحضار النظائر شأنًا عظيمًا في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة، لما في التنظير بالقصة المخصوصة من تذكُّر مشاهدة الحالة بالحواس، بخلاف التذكير المجرد عن

(١) نفس المرجع ١٤ / ٢٤.



التنظير بالشيء المحسوس»^(١).

❖ ثالثاً: جمال العبارة:

فالتذيل لونٌ بديعٌ من ألوانِ البلاغةِ، به تتألقُ العباراتُ روعةً وجمالاً، وتنسجمُ الحروفُ والأصواتُ سهولةً وانتظاماً، وتنسابُ الكلماتُ عذوبةً وسلاسةً، مع تناسقِ الألفاظِ واتساقِ العباراتِ، فهو سهلُ المساقِ حسنُ الاتساقِ، حلوُ المذاقِ، قريبٌ من فهمِ السامعِ، عذبُ المساغِ في اللّهواتِ والمسامعِ، وإنما يتجلى جمالُ العبارةِ في تناسُبِ الألفاظِ وتناسقِها، وتنوعِ الأساليبِ وتألقِها، وثراءِ المعاني وتألقِها، فكلّما أعمتَ النظرَ وأطلتَ التدبّرَ وأجلتَ الفكرَ، وجدتَ نفسك أمامَ معنى جديدٍ، غير الذي سبقَ إلى فهمك أولَ مرّةٍ، وكذلك حتى ترى للجملةِ الواحدةِ أو للكلمةِ الواحدةِ وجوهاً عدّةً، كلّها يحتملُها النصُّ وتستوعبُها العبارةُ القرآنيّةُ، كأنما هي دُرّةٌ يتيمةٌ تبهرُ الأبصارَ كلّما نظرتَ إليها من أيِّ ناحيةٍ وجدتَ حسناً وجمالاً، وروعةً وبهاءً، ولمعةً وضياءً، أو كروضةٍ غناءً في واحةٍ فيحاء، هبّت نسايمُها، فتضوّعت رياحينُها، وغرّدت أطيارُها، وتبسمت أزهارُها، وتضاحكت جداولُها، وتفتّقت ثمارُها، وأينعت قِطافُها؛ إنها رياضُ القرآن الكريم، وواحةُ الذكر الحكيم:

وحديقةُ الفرقانِ ضاحكةُ الرُّبَا بالترجُمانِ شذِيّةُ غَنَاءٍ
والوحي يَقطُرُ سَلْسَلاً من سَلْسَلٍ واللّوحُ والقلمُ البديعُ رَوَاءُ^(٢)

وتأمل جناسَ الاشتقاق وهو من ألوانِ البديعِ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]. بين ﴿يَخْتَانُونَ﴾،

(١) نفس المرجع ٦ / ١٤.

(٢) الشوقيات، لأمير الشعراء أحمد شوقي، الهمزية (١ / ٣٥).



و﴿خَوَّانًا﴾ وهذا لونٌ من ألوان البديع، وفيه تنفيرٌ واستهجانٌ لصفة الخيانة.
والالتفات من التكلم للغيبة، مع إظهار اسم الجلالة في ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨] «لإدخال الروح في ضمير السامع وتربية المهابة»^(١). مراعاةً لمقام الرهبة والإجلال، ولفتٌ للأذهان، ولتستقلَّ الجملة؛ فتخرجُ مخرجَ المثل.

والتعبيرُ بالاسم الظاهر في موضع الإضمار كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]: لبيان سبب هذه العداوة، وهو الكفر، فهي عداوةٌ لا يُرْجى انقضاؤها، كما قيل:

كُلُّ الْعَدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ فِي الدِّينِ

والتعبيرُ بالاسم الظاهر في مقام الإضمار ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ﴾؛ لتشريف وتعظيم أمر الصلاة، وكذلك ليُخْرَجَ التذييلُ مَخْرَجَ المثل، ولهذا حُسْنُ الإظهارِ ليستقلَّ عما قبله. وكذلك العدول عن الضمير للاسم الظاهر ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل عليكم؛ فعبرَ بالاسم الظاهر للتأكيد على أنها لا تُقبلُ إلا من أهل الإيمان، وأنه حريٌّ بهم أن يقيموها فهي بُرْهَانٌ وشِعَارٌ على إيمانهم.

وَحَسَنَ فَصْلَ جَمْلَةِ التَّذْيِيلِ عما قبلها: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] لما بين الجملتين من كمال الانقطاع؛ فجملَةُ التَّذْيِيلِ خبريةٌ، والتي قبلها جملةٌ إنشائيةٌ طلبيةٌ؛ لذا حُسْنُ الْفَصْلِ بينهما.

(١) فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح، لعبد الرحمن الشربيني من شيوخ الأزهر، ٤٠٥

■ التقديم والتأخير:

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]: تقديم الخيانة على الإثم لأنهم خانوا الأمانة والصقوا التهمة بالأبرياء، فوصفوا الخيانة لأنهم سرقوا وأنكروا الوديعة، والإثم باعتبار تهمة البريء.

قال أبو حيان: «وقدّمت صفة الخيانة على صفة الإثم، لأنها سبب له، أو لتواخي الفواصل»^(١)، فتقديم الخيانة على الإثم: لترتيب أفعالهم؛ فهم خانوا أولاً، ثم افترؤا على الآخرين، وهذا الافتراء إثم كبير، كما أن الخائن آثم، فالخيانة إثم.

■ والطباق:

في جملة التذييل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

■ واللف والنشر المرتب:

﴿يَكَايَأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ذَلِكُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، ف قوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ يقابله ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وقوله: ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يقابله ﴿عَلِيمٌ﴾.

✽ رابعاً: إثراء المعنى:

حيث يضيف التذييل معاني جديدة، يستخلصها من تدبر في تذييل الآيات، وأمعن النظر في السياق، حيث تتدفق المعاني، وتتوارد الخواطر، وتتفتح الفكر،

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٣٥٩ بتصرف.



وَتَتَفَجَّرُ يَنَابِيعُ الْبَيَانِ.

■ تَقْرَأُ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ:

فَتَلْقَى فِيهِ ثَرَاءً وَوَفَاءً بِالْمَعْنَى الْمَرَادِ، فَهُوَ رِسَالَةٌ كُلِّ الْعُصُورِ وَخَطَابٌ لِجَمِيعِ الْأَجْيَالِ؛ مَعْجَزَةٌ خَالِدَةٌ وَرِسَالَةٌ مُتَجَدِّدَةٌ وَنَهْرٌ مُطَّرَّدٌ، وَبَحْرٌ زَاخِرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ.

يَقُولُ صَاحِبُ الْمَنَاهِلِ تَحْتَ عُنْوَانِ (قَصْدُ الْقُرْآنِ فِي الْلَفْظِ مَعَ وَفَائِهِ بِالْمَعْنَى): «وَمَعْنَى هَذَا أَنَّكَ فِي كُلِّ مِنْ جَمَلِ الْقُرْآنِ تَجِدُ بَيَانًا قَاصِدًا مُقَدَّرًا عَلَى حَاجَةِ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْهَدَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ، دُونَ أَنْ يَزِيدَ الْلَفْظُ عَلَى الْمَعْنَى، أَوْ يَقْصُرَ عَنِ الْوَفَاءِ بِحَاجَاتِ الْخَلْقِ مِنْ هَدَايَةِ الْخَالِقِ، وَمَعَ هَذَا الْقَصْدِ الْلَفْظِيِّ الْبَرِيِّ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ تَجَدُّدُهُ قَدْ جَلَّى لَكَ الْمَعْنَى فِي صُورَةٍ كَامِلَةٍ لَا تَنْقُصُ شَيْئًا يَعْتَبَرُ عُنْصَرًا أَصْلِيًّا فِيهَا أَوْ حَلِيَّةً مُكْمَلَةً لَهَا، كَمَا أَنَّهَا لَا تَزِيدُ شَيْئًا يَعْتَبَرُ دَخِيلًا فِيهَا وَغَرِيبًا عَنْهَا، بَلْ هُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿الرَّكَتَبُ أَحْكَمْتُ أَيْنُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هُود: ١]»^(١).

كَمَا يَأْتِي التَّذْيِيلُ بِلَطَائِفِ الْمَعَانِي، وَدَقَائِقِ الْفَوَائِدِ مِنْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التَّوْبَاتِ: ١٧].

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾: أَيُّ شَاكِرٌ لِلْمُحْسَنِ إِحْسَانَهُ، حَلِيمٌ بِالْعِبَادِ حَيْثُ لَا يَعَاجِلُهُم بِالْعُقُوبَةِ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ، بَلْ يَرْحَمُ ضَعْفَهُمْ وَيُمَهِّلُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ، وَمِنْ شُكْرِهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ مَجَازَاتُهُ لَهُمْ بِالْأَجْرِ الْجَزِيلِ عَلَى الْعَمَلِ الْقَلِيلِ.

(١) مناهل العرفان، للزرقاني ٢ / ٢٣٣.



وقد أشار الشنقيطي: هاهنا إلى لطيفة فقال: «وقوله: ﴿حَلِيمٌ﴾ أي لا يعجل بالعقوبة بل يستر ويتجاوز عن الذنوب، ومجيء هذا التذييل هنا يُشعرُ بالتوجيه في بعض نواحي إصلاح الأسرة، وهو أن يقبل كلُّ من الزوجين عمل الآخر بشكر، ويقابل كلَّ إساءةٍ بحلمٍ لئتم معنى حُسن العشرة، ولأن الإنفاق يستحق المقابلة بالشكر والعداوة تُقابل بالحلم»^(١).

■ وِثَاءُ الْمَعْنَى:

من دلائل عَظَمَةِ الْقُرْآنِ، ومن وجوه إعجازه وفنون بلاغته وينابيع عطائه لا تنضبُ معانيه ولا تنقضي عجائبه ولا تُفدُ خزائنه.

ومع هذا الثراء والتنوع فلا تلقى تناقضاً ولا تلمسُ اختلافاً بين هذه المعاني، بل تراها متآخيةً متلازمةً.

قال البوصيري:

جاءَ النُّبُوءُ بِالْآيَاتِ فَانصَرَمْتُ وَجِئْنَا بِكِتَابٍ غَيْرِ مُنْصَرَمٍ
آيَاتُهُ كَلِمًا طَالَ الْمَدَى جُدُّ يَزِينُهُنَّ جَمَالُ الْعِتْقِ وَالْقَدَمِ
فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ حُسْنًا غَيْرُ مُنْتَظَمٍ^(٢)

من هنا تتجلى فوائد الوقوف على لطائف التذييل؛ وذلك لفهم المعاني ومعرفة الوجوه. عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفاً: لا يفقه الرجل كلَّ الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة^(٣).

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٨ / ٣٣٠.

(٢) البردة للبوصيري، شرح البردة، تأليف السوسي على، مخطوط لوحة ٢٧.

(٣) المصنف، لابن أبي شيبة ٧ / ١٨٧، والمصنف، لعبد الرزاق ١١ / ٢٥٥ حديث ٢٠٤٧٣، والطبقات الكبرى، لابن سعد ٢ / ٣٥٧.

خامساً: حُسْنُ التعليل:



قد يأتي التذييل لبيان علةٍ أو لتجلية حكمةٍ، ولذلك في القرآن أمثلة كثيرة، منها ما ذكره البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزمر: ٧]، قال: «ولما كان المراد - كما أشار إليه بكان - الإخبار بجميع الأعمال الكائنة بالفعل أو القوة، حَسَنَ التعليل بقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزمر: ٧]، أي بصاحبها من الخواطر والعزوم، وذلك بما دلت عليه الصحة كل ما لم يبرز إلى الخارج، فهو بما برز أعلم»^(١).

ومثال ذلك: التذييل في قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا ثِقَفُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِعَصْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

جملة التذييل: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ وذلك إشارة إلى سبب كفرهم وقتلهم الأنبياء، وهو إصرارهم على العصيان واعتداؤهم، ويمكن أن تكون إشارة إلى جميع ما ذُكِرَ في الآية من ضرب الذلَّة والمسكنة وغضب الله عليهم وكفرهم وقتلهم الأنبياء بغير حقٍّ. وما مصدرية أي بسبب عصيانهم واعتدائهم، وهذا نشر على ترتيب اللف فكفرهم بالآيات سببه العصيان، وقتلهم الأنبياء سببه الاعتداء»^(٢).

(١) نظم الدرر للبقاعي ٧ / ٢٣٢، ومثال ذلك أيضًا ما ذكره الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، يراجع روح المعاني للألوسي ١٨ / ٢٥٧.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٤ / ٥٧ باختصار.



وفي حاشية محيي الدين شيخ زاده: «إشارة إلى علة العلة، ولهذا المعنى قال أرباب المعاملات: مَنْ ابْتَلِيَ بِتَرْكِ السَّنَةِ وَقَعَ فِي تَرْكِ الْفَرَضِ، وَمَنْ ابْتَلِيَ بِتَرْكِ الْفَرِيضَةِ وَقَعَ فِي اسْتِحْقَارِ الشَّرِيعَةِ، وَمَنْ ابْتَلِيَ بِذَلِكَ وَقَعَ فِي الْكُفْرِ»^(١).

وقال صاحب المنار: «جَرَّأَهُمْ عَلَى ذَلِكَ سَبْقُ الْمَعَاصِي وَالِاسْتِمْرَارُ عَلَى الْعِدَاءِ، فَتَدَرَّجُوا مِنَ الصَّغَائِرِ إِلَى الْكِبَائِرِ، إِلَى أَكْبَرِ الْمَوْبَقَاتِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَقَتْلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُصْلِحِينَ، فَصَارَ هَذَا الْعَصْيَانُ وَالْإِعْتِدَاءُ خُلُقًا لِلْأُمَّةِ، وَطَبْعًا لَهَا يَتَوَارَثُهُ الْأَبْنَاءُ عَنِ الْآبَاءِ بِلَا نَكِيرٍ»^(٢). «وهذه الجملة: مؤكدة لما قبلها، فالعصيان والاعتداء هو عين الكفر وقتلهم الأنبياء، ويحتمل أنها ليس مؤكدة بل هي علة العلة؛ فعلة ضَرْبِ الدَّلَّةِ والمسكنة والغضب من الله: كفرهم وقتلهم الأنبياء، وعلة الكفر والقتل: عصيانهم أمر الله وتجاوزهم الحد»^(٣).

والتعبير بالماضي ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ لإفادة تحقق العصيان، وبالفعل «كان» مع المضارع ﴿وَكَاوُوا يَعْتَدُونَ﴾ لبيان اعتداءاتهم المتكررة المستمرة بلا توقف، مع مراعاة الفاصلة.

(١) حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ١٤٩/٣.

(٢) تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار للسيد رشيد رضا ٧٠/٤ وقد ذكر الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه التفسير القرآني للقرآن، وكذلك الشيخ سعيد حوى في كتابه الأساس في التفسير، كلاما طيبا حول هذه الآية وما قبلها، وهو قريب مما ذكرناه وترجع قيمة ما كتبه الخطيب إلى أنه كتبه بعد النكسة بثلاثة شهور كما أشار إلى ذلك في تفسيره: «لنتخذ منها أملاً يدفع صدورنا، ويطمئن قلوبنا، ويخفف آلام جراحنا التي نعانيها من هذا الحدث الذي نعيش فيه في مرارة وألم وقلق... وإننا مطمئنون إلى فهمنا للآية الكريمة، واثقون من معطياتها التي لا تتخلف أبدا» نفس المرجع ٥٥٩/١.

(٣) حقائق الروح والرياحان في رواي علوم القرآن، للشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي ٦٥/٥.



مثال آخر: التذليل في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]. أي فرضاً محدداً الأوقات، لا يجوز إخراجها عن أوقاتها في شيء من الأحوال، بل لا بد من أدائها في أوقاتها سفراً وحضراً، وأمناً وخَوْفاً.

فقد جاءت جملة التذيل مؤكدة ومقررة لما قبلها، ومبينة الحكمة في هذه الرخصة، وهي التمكن من إقامة الصلاة التي لها أوقاتها المعلومة، قال ابن عاشور: «والجملة مسوقة مساق التعليل للحرص على أدائها في أوقاتها»^(١).

سادساً: حُسْنُ الْخِتَامِ:

كما يأتي التذيل إيذاناً بتمام الكلام، فيتضوع منه مسك الختام، ويفوح عبقه، فإنه آخر ما يبقى في الأذهان، ولذا تفنن فيه الأدباء وبرعوا فيه «لأنه ربما حفظ من دون سائر الكلام، فيتعين أن يجتهد في رشاقتة وحلاوته وجزالته»^(٢). فكما أن لحسن المطلع روعته ووقعه، كذلك للخاتمة وقعها في النفوس، وروعها في القلوب، وأثرها الذي يبقى في الأذهان؛ فهي آخر عهد المستمع بالمتكلم.

وحين نقرأ كلام الباري نلمس ذلك الإحكام، ونستشعر تلك الروعة، ونتذوق هذه العذوبة والحلاوة في كل ما ورد ختاماً لقصة أو مقطع أو سورة، حيث يأتي السياق معقّباً أحسن تعقيب، فيأتي بتمام الموضع واكتماله، ويسوق نتائجته ويبرز أبعاده، كما يُجَلِّي عبره وعظاته، وفوائده وثمراته.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٥ / ١٨٩.

(٢) الفوائد المشوق لابن القيم ص ١٣٨.



مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٢٠) ﴿

[المائدة: ١٢٠].

قال ابن عاشور: «تذيلٌ مؤذنٌ بانتهاء الكلام، لأن هذه الجملة جمعت عبودية كل الموجودات لله تعالى، فناسب ما تقدّم من الردّ على النصارى، وبيّنت أنّ جميعها في تصرفه تعالى، فناسب ما تقدّم من جزاء الصادقين...» (١).

ومن الأمثلة على ذلك: المناسبة بين ختام سورة الأنعام وما حوته، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

قال ابن عاشور: وجملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تذيلٌ للكلام وإيدان بأنّ المقصود منه العمل والامثال؛ فلذلك جمع هنا بين صفة ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ ووصف ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ليناسب جميع ما حوته هذه السورة. وبهذا ينتظم تذيل السورة بمضمونها؛ حيث تقرير العقيدة الصحيحة وترسيخها في القلوب.

❁ سابعا: الاحتراس:

وهو أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد، فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال (٢)،

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٤ / ٣٥٣. باختصار. ويراجع التحرير والتنوير لابن عاشور ٥ / ٢١٩، ١٠ / ٤١. ويراجع: التفسير الموضوعي لسورة الأنعام، للمؤلف، ولقد عني العلماء بإبراز الصلة بين نهاية السورة ومضمونها كما فعل البقاعي وأبو السعود وسيد قطب وسعيد حوى وغيرهم وللإمام السيوطي رسالةٌ وجيزةٌ بعنوان «مرائد المطالع في تناسب المطالع والمقاطع» وهي مطبوعة.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣ / ٦٤ - القسم الثاني والعشرون الاحتراس، ويراجع: الإتقان ٢ / ١٩٩، والإيضاح في علوم البلاغة ص ١٩٢ النوع السابع عشر التكميل ويراجع: إعجاز القرآن للباقلاني ١ / ٩٥.



وقيل: «توق عن إيهام خلاف المقصود»^(١).

ومثال ذلك الاحتراس في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أَمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، حيث جملة التذييل: ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وفيها احتراس لدفع ما قد يتوهم من انتفاء الإيمان عن سائر أهل الكتاب، فإن منهم من آمن، وإنما يسري النفي على أكثرهم الذين آثروا الكفر، وثبتوا عليه وهذا من دقة تعبير القرآن، وإنصافه في الحكم على الآخرين، حيث بين أن من أهل الكتاب من اختار طريق الإيمان، وفي هذا درسٌ للدعاة والمصلحين أن يتحرروا الدقة في الحكم، ويتجنبوا التعميم في الأحكام، بلا دليل.

مثال آخر: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْفُخَ طَافِئَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَافِئَةً أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَعْفَلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢].

جاءت جملة التذييل احتراساً ودفعاً لما قد يتوهم. قال أبو السعود فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾: تعليل للأمر بأخذ الحذر، ﴿أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ بأن يخذلهم وينصرهم عليهم فاهتموا بأموالهم، ولا تهملوا في مباشرة الأسباب كي يحل بهم عذابه بأيديكم، وقيل: لما كان الأمر بالحذر من

(١) فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح، لعبد الرحمن الشربيني ص ٤٠٤.



العدو مُوهِمًا لتوقع غَلَبَتِهِ واعتزازه، نَفَى ذلك الإيهام بأن الله تعالى ينصرُهم ويُهينُ عدُوَّهُم لتقوى قلوبُهم»^(١).

ومن أمثلة الاحتراس في تذييل الآيات قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْأَمْءَ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]. إذ الدعاء عليهم مشعرٌ بأنهم مستحقون الهلاك احتراسًا إذ قد يُتَوَهَّمُ أن الهلاك «يشمل من يستحق ومن لا يستحق، فأكد بالدعاء على المستحقين»^(٢).

✽ ثامنا: التنوع والتفنن:

كذا من فوائد التذييل التنوع في الأساليب والتفنن في الكلام، وذلك: بإبراز المعنى الواحد في قوالب متعددة وصياغات متنوعة وفي سياقات مختلفة؛ لتقرير هذه المعاني وترسيخها، مع مراعاة السياق الذي به تنظم المعاني، ونجد في تذييلات الآيات ذلك فتارة يقدم صفة وتارة يؤخرها على ما اقترنت به، وتارة يختم الآية بتعليل أو رجاء، ثم يختم ما يليها بتعليل آخر أو رجاء، وتارة يختم بوصف ثم يعقبه بوصف آخر، حتى اشتملت التذييلات على معظم أسماء الله الحسنى، وختمت ببيان جميع مقاصد القرآن، وغير ذلك من وجوه ومعاني، وهذا من خصائص الأسلوب القرآني، كما قال ربنا ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩].

فتصريف الآيات مجيء المعاني في صور متعددة، وسياقات متنوعة تقريراً لها

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود ٢ / ٢٢٨. وحاشية القنوي على تفسير البضاوي لعصام الدين

إسماعيل بن محمد الحنفي القنوي ٧ / ٢٨٦.

(٢) روح المعاني للألوسي ٢٠ / ٣٠٢.



وإثراء وبياناً فوق بيان، وصدق ربنا إذ يقول: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى نَقَّصِرُ مِنْهُ جُلُودٌ لِّدِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٢٣) [الزمر: ٢٣].

تاسعا: إخراج الكلام مخرج المثل:

فالملاحظ أن جملة التذييل مع ارتباطها الوثيق بما قبلها، إلا أنها مستقلة بمعناها وتركيبها ودلالاتها، بحيث يمكن اقتباسها بل يحسن ويجمل ذلك، كما هي عادة الخطباء والأدباء، وقد سبق تقسيم ابن أبي الأصبع التذييل لقسمين: «قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق، وقسم يخرجُه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله»^(١).

ومن ذلك التذييل في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]. وأغلب تذييلات القرآن خرجت مخرج المثل، فتصلح لاقتباسها في المواعظ والحوارات والخطب.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ

(١) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الأصبع باب التذييل ص ٣٨٧، ويراجع في ذلك: خزانة الأدب وغاية الأرب، لتقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي ١ / ٢٤٢، ومعجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة ص ٢٣٤، والمعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني د. إنعام نوال عكاوي ص ٣٠٠، وجاء في التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: «التذييل: تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتأكيد» التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي ١ / ١٦٨. ويراجع فيض الفتح على حواشي شرح تلخيص المفتاح، لعبد الرحمن الشربيني من شيوخ الأزهر، ص ٤٠٣.



كثيراً وأنصروا من بعد ما ظلموا^١ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿٢٢٧﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿٨١﴾ [الإسراء: ٨١]. جاء في ختام عهد أبي بكر لعمر رضي الله عنه بالخلافة اقتباسه^(١) لقوله تعالى ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢). وكان ختام كثير من الخطب: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]^(٣).



- (١) الاقتباس: تضمين الكلام نثرًا أو نظمًا شيئًا من قرآن أو حديث، التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي (١٠٣١هـ)، ص ٨١.
- (٢) الكامل في اللغة والأدب للمبرد (١ / ١٤).
- (٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، (٢ / ٤٥١).

المبحث الثاني

﴿أصول الوقوف على لطائفه﴾

تحدثت في المبحث السابق عن فوائد التذيل، وفي هذا المبحث أبين أصول الوقوف على لطائف التذيل، فأقول والله المستعان: للوقوف على بلاغة التذيل ومعرفة حكمه وأسراره أصولٌ مهمّةٌ، لا بدّ من مراعاتها، ومصاحبتها حينَ نجولُ في رياض القرآن، ونُجِلُ النَّظَرِ في تذييلاته، وهنا نشيرُ إلى أهمّ هذه الأصول، فنقول - ومن الله القبول -:

✽ أولاً: مراعاة مقاصد القرآن الكريم:

دراسة مقاصد القرآن مما يُعينُ على تشمُّ عطره وشذاه، وتذوّقِ لطائفه وقطوفه، والتحقُّقِ من دلالته والتعمُّقِ في هداياته، والتبحُّرِ في دقائق معانيه. بل إن كثيراً من التذييلات يكشف لنا عن مقاصد القرآن عموماً ومقاصد مواضعه (أحكامه، وقصصه، وأمثاله، ومواعظه، ووصاياه).

لعلكم تعقلون (سبعة مواضع)، لعلكم تتقون (سنة مواضع)، لعلكم تشكرون (في ثمانية مواضع)، لعلكم تفلحون (أحد عشر موضعاً)... وهكذا.

بل يلاحظ التناسب بين هذه المقاصد، ففي سورة الأنعام آيات الوصايا العشر قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا



ذَلِكَ وَمَنْ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]، فالتعقل طريق التذكر والتذكر طريق التقوى. فثمرة التعقل والتذكر تقوى الله تعالى. ونظيره ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

❖ ثانياً: الدراية بالغة العربية وأساليبها وفنونها:

فمن المؤهلات الأساسية لمن يدرس التذيل وغيره من علوم البلاغة، أن يكون على دراية بلغة العرب وأساليبهم وفنونهم في الكلام. قال مجاهد: «لا يحلُّ لأحدٍ يؤمنُ بالله واليومِ الآخر أن يتكلمَ في كتابِ الله إذا لم يكنْ عالماً بلغاتِ العرب»^(١).

فجملة التذيل لا بد أن تكون مستقلة عما قبلها لفظاً ومعنى، وهذا أمرٌ يحتاج من الباحث لدراية بقواعد اللغة، فليس كل نهاية آية تذييلاً، إذ قد يكون خبراً لمبتدأ، أو جواباً لشرط سابق، أو حالاً مما قبله.

والنظر في هذا يمكن الباحث من معرفة التذيل من غيره، فلا يمر بآية ويغفل عن ختامها بتذيل، أو يقول: إنها ختمت بتذيل وما هو بتذيل، كذلك إبراز جماليات التذيل يحتاج لاطلاع على فنون البلاغة؛ إذ التذيل لون من ألوان البديع، وبعضهم يذكره في أغراض الإطناب وفنونه.

❖ ثالثاً: مراعاة قواعد التفسير وأصوله:

قواعد التفسير هي: أحكامٌ كليةٌ تُعينُ على فهمِ القرآنِ واستنباطِ أحكامِهِ،

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي ١/ ٢٩٢، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ٤٤٣.



ولا بد لمن طَرَقَ بَابَ التفسير أن يكون على دراية بقواعده التي يُستضاء بها في هذا الطريق؛ فمن خلالها يسير المفسر على بَيِّنَةٍ من أمره، ويستعينُ بمعرفتها على فهم كلام الله عَزَّجَلَّ واستخلاص المعاني، واستنباط الأحكام، والوقوف على العبر والفوائد، فينبغي مراعاة قواعد التفسير عامة، فضلاً عن مراعاة القواعد المتعلقة بالتذيل خاصةً.

ومنها على سبيل المثال: مراعاة السياق القريب والبعيد، أعني السياق العام للسورة، والسياق القريب للآية موضع البحث، فالتذيل جزءٌ من الآية؛ لذا ينبغي تدبرها في سياقها. الأصل هو القول بمقتضى الظاهر، فلا نقول بالعدول إلا بقرينة، في العدول عن مقتضى ظاهر الكلام ما يُنمُّ عن دقائق عجيبة ولطائف بليغة.

❁ رابعاً: النظرة الكلية للسورة:

كما ينبغي استحضار مقاصد القرآن بوجه عام؛ كذلك على المفسر أن يقف أمام مقاصد السورة ومعالمها؛ فإنَّ هذا مما يفتح له آفاقاً رحبيةً في فهم لطائف التذيل، وهذا يتم من خلال تلاوة السورة وتدبرها ومدارستها، مع مراعاة النظرة الكلية الشاملة التي تعين على فهم مقاصدها والوقوف على محورها العام الذي تنتظم في سلكه آياتها وتدور في فلكه موضوعاتها، مما يساعد في جني لطائف التذيل، والأمر يتطلب القراءة المتأنية للسورة، مع تكرار القراءة بتدبر وإمعان.^(١)

وقد قرر ذلك المبحث الإمام الشاطبي فقال: «اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالإقتصار على بعضها غير مفيد

(١) يراجع في هذا الموضوع: مبادئ أساسية في فهم القرآن، لأبي الأعلى المودودي ص ٤٩: ٥١، ويراجع ما ذكره السيوطي حول هذا المعنى في الإتقان ٢/ ١٢٨ وما ذكره الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم للأستاذ ص ١٥٣، ١٥٤.



للمقصود منها، كما أن الاختصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها»^(١).

تأمل في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ

﴿٥١﴾ [الأنبياء: ٥١].

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩]، ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمُ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء: ٨١، ٨٢]: تلحظ عناية الله تعالى ورعايته ولطفه وإحاطة علمه وحفظه لأنبيائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولم تتكرر هذه الصيغ وتجتمع في سورة أخرى، وفي هذا مناسبة لعنوان السورة (الأنبياء) ومقصودها، بيان إكرام الله ولطفه بهم.

❁ خامساً: النظر في السياق:

فمن الأمور الأساسية للناظر في تذييل الآيات أن يُنعمَ النظر في السياق السابق واللاحق، حتى يقف على لطائف التذييل وفوائده: عن مسلم بن يسار قال: إذا حدثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده^(٢).

وقال الزركشي في البحر المحیط: «... والسياق يرشد إلى تبين المجملات

(١) الموافقات، للشاطبي ٣/ ٤١٥. ويراجع: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي ص ١٥٥، ويُراجع ما ذكره السيوطي في الإتقان حول هذا المعنى: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ١٢٨/٢.

(٢) فضائل القرآن للقاسم بن سلام (٢/ ٢٦١) حديث (٦٩٥).



وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات، وكلُّ ذلك يُعرَفُ بالاستعمال».

وقال في البرهان: «والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علمٌ جَمٌّ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقَّت له»^(١).

تأمل التذييل في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨].

لما ختم الآية السابقة بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ناسب أن يُنكَرَ على كفارِ أهل الكتابِ كفرهم بآياتِ الله مع قيامِ الحُجَّةِ عليهم، فكفرهم أشنعُ وأقبحُ من كفر غيرهم لأنهم أوتوا الكتاب فكفروا جحودًا وعنادًا، وبغيا وحسدًا، «فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم متمعدون الكفر بالله وبرسوله على علم منهم، ومعرفة من كفرهم»^(٢).

وتأمل التذييل بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، كيف جاء بعده الأمر بالاعتصام ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وتأمل حسن وروعة الترتيب بين التذييلات: التَّذْيِيلُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

التَّذْيِيلُ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٣٨) ويراجع البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٦/ ٥٢).

(٢) جامع البيان للطبري ٥٢/ ٦.



خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿النساء: ١١٩﴾. لما بَيَّن الوصف والحال بَيْنَ العاقبة والمآل، فهذا الضال عاقبته الخسران.

سادساً: التذوق وصفاء الذهن ومعايشة القرآن مع الاستعانة بالله :

الوقوف على لطائف التذيل، وإدراك معانيه ومراميهِ، يحتاجُ إلى تذوقٍ سليم، وسجيةٍ نقيّةٍ.

قال السكاكي: «اعلم أن شأن الإعجاز عَجِيبٌ، يدركُ ولا يمكنُ وصفه، كاستقامة الوزنِ تدركُ ولا يمكنُ وصفها، وكالملاحاة، ومُدركُ الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا...»^(١).

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، حيث وقع التذيل بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

قيل: عزيزٌ في حكمه فهو الغالب القاهر، وفي شرعه الحكيم العزّة والكرامة والأمن والاستقامة، فهو عزيزٌ في شرع الردع، حكيم في إيجاب القطع.

وقيل: عزيزٌ في انتقامه من السارق وغيره من أهل المعصية، حكيمٌ في فرائضه وحدوده، روي أن أعرابياً سَمِعَ قارئاً يقرأ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ إلى آخرها، وَخَتَمَهَا بقوله: والله غفور رحيم، فقال: ما هذا كلامٌ فصيح، فقيل له: ليس التلاوة كذلك، وإنما هي ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال: بخ بخ: عز، فَحَكَمَ، فَقَطَعَ^(٢).

وقال ابن الجوزي في مقدمة تفسيره لسورة التوبة - براءة -: «وقد نُقِلَ عن

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ١/ ١٨١، ويراجع الإتقان في علوم القرآن، للإمام السيوطي ١/ ٤٤٤.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٢٠٨، والبحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٤٢٥.



بعض العرب أنه سمع قارئاً يقرأ هذه السورة، فقال الأعرابي: إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن، قيل له: ومن أين علمت؟ فقال: إني لأسمع عهداً تُنبِذُ ووصايا تُنفَذُ^(١). وهكذا أدرك الأعرابي أن السورة من أواخر ما نزل، وذلك بسليقته الحاضرة وذوقه الصافي.

كذلك ذكر بعض المفسرين قصةً أخرى لأعرابي تلي على مسامعه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨] فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩، ٢٠٨]، فختمها القارئ خطأ «فاعلموا أن الله غفور حكيم»، فأنكر الأعرابي ذلك وقال بفطرته النقية وقريحته الصافية: ما هكذا نزلت! «إن كان هذا كلام الله فلا يقول: كذا، فالحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل!»^(٢).

من هنا ندرك أثر صفاء الذهن في تذوق كلام الله، وتنسم عبقه وشذاه، فهذا أعرابي عاش حياةً فطريةً في البادية جعلت منه صاحب ذهن وقاد، وسمع مرهف، وتدبر واعٍ لكلام الله تعالى، فتدبر القرآن لا يتم إلا بصفاء ذهن وحضور قلب وإلقاء سمع، والتذليل من دقائق المعاني ولطائف الأساليب التي تحتاج في استجلائها إلى تجريد الفكر واستجماع القلب، فلا بد من حضور القلب وصفائه حتى يرى تلك المعاني بوضوح وجلال، ويحيا بها عملاً وسلوكاً، فكلما تفرغ القلب من هموم الدنيا ومشاغليها، وطهر من التعلق بها وجعل الآخرة همّه وشغله، تجلّت له المعاني وأقبلت عليه اللطائف وحضرت الفوائد.

(١) نفس المرجع ٣ / ١٤٤.

(٢) الكشف، للزمخشري، (١ / ٢٨٠)، والتفسير الكبير، الرازي (٥ / ٣٥٤).



قال الزَّركَشِيُّ في البرهان: «اعلم أنه لا يحصلُ للناظرِ فهمُ معاني الوحي، ولا يظهرُ له أسرارُهُ وفي قلبه بدعةٌ، أو كِبَرٌ، أو هوى، أو حُبُّ الدنيا، أو وهو مُصِرٌّ على ذنبٍ أو غيرَ متحققٍ بالإيمانِ أو ضعيفُ التحقيقِ أو يعتمدُ على قولِ مُفسِّرٍ ليس عنده علمٌ أو راجعٌ إلى معقوله، وهذه كُلُّها حُجُبٌ وموانعُ بعضها آكدُ من بعضٍ»^(١).

كذلك: واجبٌ من ينهضُ لهذه المهمةِ الجليلةِ الشأنِ مهمةِ الوقوفِ على تذييلات القرآن: أن يتعايش مع القرآن بقلبه ووجدانه وروحه وعاطفته، وَيَتَمَثَّلَ القرآنَ الكريمَ في جميعِ شؤونهِ وسائرِ أحواله،^(٢)، فمعايشةُ القرآنِ الكريمِ: مِنْ أعظمِ السُّبُلِ إلى فهمِ أحكامِهِ والوقوفِ على معانيهِ وإدراكِ حِكَمِهِ ومراميهِ، ومن تأملٍ على سبيلِ المثالِ في العواملِ التي أعانتِ الصحابةَ على التعمُّقِ في فهمِ كلامِ الله؛ لوجد من أهمِّها معايشَتَهُم للقرآن، وحياتُهُم في ظلالهِ يتَسَمُّونَ عبيرهُ وشذاه، ويترسَّمونَ سبيلَهُ وهُداه، ويقتبسونَ من أنوارهِ، ويقتطفونَ من أزهارهِ، ويجتنونَ من ثمارهِ، ولن تتفتحَ لنا أكمامُ التذييلاتِ، ولن تتفتقَ لنا الثمراتُ إلا حينَ نتعايش مع كتابِ الله تعالى تلاوةً وتدبراً، وعلمًا وعملاً، ودعوةً وتربيةً، ولا بد مع ذلك

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٢ / ١٨٠، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ٢ / ٤٧٩. ويراجع: أخلاق حملة القرآن، للأجري ٤٠ (بتصرف).

(٢) كما كان نبينا ﷺ يعيش بالقرآن ويحيا بالقرآن ويتنفس بالقرآن، فكان القرآنُ له زاداً، وسراجاً، وروحاً، ومنهاجاً، فالقرآنُ حياةُ القلوبِ، ونورُ الدروبِ، ومنهاجُ الحياة، روى الإمام مسلم في صحيحه عن سعدِ بنِ هِشامِ ابنِ عامِرٍ: أنه سأل أُمَّ المؤمنين عائشة: قال لها يا أُمَّ المؤمنين أنبئيني عن خلقِ رسولِ الله ﷺ؟ قالت: (أليسَ تقرأ القرآن؟) قال: قلتُ بلى، قالت: (فإن خلقَ نبيِّ الله ﷺ القرآن) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنها أو مرض - ١ / ٥١٢ حديث ١٣٤١.

كله من الاستعانة بالله تعالى الذي أَمَرَنَا اللهُ بِتَدَبُّرِ كِتَابِهِ، وإِمعانِ النظرِ في مَبَانِيهِ
ومَعَايِشَةِ مَعَانِيهِ وتَذَوُّقِ أَسَالِيهِهِ وَتَتَبُّعِ تَرَكَيبِهِ؛ لاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ، واستِجْلَاءِ
المَعَانِي.





الفصل الثاني

﴿ فنون التذييل وسماته ﴾

المبحث الأول

﴿ من فنون التذييل في القرآن ﴾

بيننا فيما سبق، فوائد التذييل، وأصول الوقوف على لطائفه، وهنا نبين فنونه، وسماته، والمقصود بفنونه: أنواعه، والسمات هي خصائصه، والغرض من هذا المبحث، زيادة توضيح معنى التذييل، وإبراز لطائفه وجمالياته.

للتذييل في القرآن: أنواعٌ كثيرةٌ متنوعةٌ، وألوانٌ رائعةٌ مائعةٌ، تنمُّ عن حُسنٍ وجمالٍ، وبهاءٍ وجلالٍ، وفصاحةٍ وبيانٍ، منها:

✽ أولاً: التتيميم:

«وهو أن يؤتى في كلامٍ لا يؤهم غيرُ المرادِ بفضلةٍ تُفيدُ نُكتَةً»^(١). ومثاله قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رِيحَتْ بِحَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٢) [البقرة: ١٦]، «قيل: لما لم يكن قوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتْ بِحَدْرَتِهِمْ﴾ مفيداً لذهاب رؤوس أموالهم، أتبعه بقوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، فكمّل المعنى بذلك، وتمّ به المقصود»^(٣)، وإن صح المعنى بدونه، ولكن أفاد معنى متممًا.

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، النوع الثامن عشر ٧٥ / ٢. ويراجع الإيضاح في علوم البلاغة للقرظيني (٣ / ٢١٣)، والفضلة كالحال والمفعول ونحوه. وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لتقي الدين السبكي (٧٧٣)، (١ / ٤١٦). فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح، لعبد الرحمن الشربيني ص ٤٠٥

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان ٨٠ / ١.



وجاء في الطراز: «التميم: الإتيان بجملة عقيب كلام متقدم، لإفادة التوكيد له والتقرير لمعناه، ومثاله قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] فقوله: ﴿وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ إنما ورد على جهة التوكيد، لما مضى من الكلام الأول، ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ثم قال: ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾^(١).

❁ ثانياً: التصدير:

وهو التناسب اللفظي والمعنوي بين صدر الآية وعجزها، وهو من رد العجز على الصدر، ومثاله قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦]. فجاء ختام الآية مناسبا لأولها.

قال الشيخ أبو زهرة: «ذِيلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْآيَةُ بِهَذَا النِّصِّ الْحَكِيمِ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُمْ ظَالِمُونَ، فَهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَظَلَمُوا الرُّسُولَ، وَظَلَمُوا الْحَقَائِقَ وَطَمَسُوا عَلَى بَصَائِرِهِمْ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَدْخُلَ الْهَدَايَةُ إِلَى قُلُوبِهِمْ»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. وهذا من أدب الدعاء، ومن باب التوسل لله بأسمائه، وقد بدأت الآية بالطلب (وهب) وختمت باسم الله الوهاب، بما يزيد العبد رجاء لربه، فضلاً عن التوسل بأسماء الله تعالى. وقد لا حظت في القرآن الكريم ختام الأدعية بأسماء الله الحسنى، سواء في أدعية الأنبياء أو الصالحين أو الأدعية التي ذكرها القرآن بإطلاق، وهذا يدل على وحدة المنهج، تأمل على سبيل المثال دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة المؤيد بالله ٥٧٤٥هـ (٣/ ٢٠١).

(٢) زهرة التفاسير، الشيخ محمد أبو زهرة ٣/ ١٣٠٦.



إِبْرَاهِيمُ أَنْقَوَاعِدَ مَنْ أَبَيْتَ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩]، ودعاء امرأة عمران ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: ٣٥].
ودعاء موسى عَلَيْهِ السَّلَام ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَادْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥١]، ودعاء زكريا عَلَيْهِ السَّلَام ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩]. وهكذا نلمس من خلال التذييل وحدة منهج الأنبياء والصالحين في الدعاء.

ومثاله أيضًا التَّذْيِيلُ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣]. فبدأت ببيان وجوه لفضل الله على نبيه، وختمت ببيان عموم فضله تعالى على نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من رد الصدر على العجز، تقريرًا للمعنى وإثراء له، فضلًا عن جمال النظم.

قال الرازي: «وهذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف الفضائل والمناقب»^(١).

❖ ثَالِثًا: التَّوْشِيحُ:

أن يكون معنى الآية مشيرًا إلى تذييلها، ومثلوا له بقوله تعالى: ﴿وَأَيُّهَا لَهُمْ

(١) التفسير الكبير، الرازي (١١ / ٢١٦)، ورد الصدر على العجز: أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما في أول الفقرة، والآخر في آخرها. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لتقي الدين السبكي (٧٧٣)، (٢ / ٢٩٣).

أَلَيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ [يس: ٣٧].

قال ابن أبي الأصبع: «فإن من كان حافظاً لهذه السورة متفطناً إلى أن مقاطع آيها النون المرادفة، وسمع في صدر الآية انسلاخ النهار من الليل، علم أن الفاصلة مظلّمون؛ لأن من أسلخ النهار عن ليله أظلم: أي دخل في الظلمة، ولذلك سمي توشيحاً، لأن الكلام لمّا دلّ أوله على آخره نَزَلَ المعنى منزلةً الوشاح، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح، اللذين تحوط عليهما الوشاح»^(١).

ومثاله قوله تعالى فتبارك الله ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا نَزَلَ يَا عُمَرُ^(٢).

وقال مقاتل والزجاج: كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ فَقَالَ عُمَرُ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ عَلَيَّ»^(٣) وروي مثل ذلك عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، كَانَ قَدْ تَكَلَّمَ بِالْإِسْلَامِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ يَكْتُبُ لَهُ شَيْئًا، فَلَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمُؤْمِنِينَ

(١) تحرير التحرير، لابن أبي الأصبع ص ٣٥٨.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٥٣) ..

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٥٣)، وبحر العلوم، السمرقندي (٢/ ٤٧٦)، وعزاه السيوطي: ٩٤ / ٦ إلى الطبراني وابن مردويه.



﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] أَمَلًا هَا عَلَيْهِ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ
﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] عَجِبَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ تَفْصِيلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ
فَقَالَ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ
عَلَيَّ...»^(١).

❖ رابعاً: التمكن:

وهو أن تمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها
مطمئنة في موضعها، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً، بحيث لو طُرِحَتْ
اختلَّ المعنى واضطرب الفهم^(٢).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمِنَ الْإِثْمِ وَكَفَى اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَاتَبَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، فلقد مهَّد لهذا التذييل بما
يدلُّ عليه أبلغ دلالة، فلقد رد الله الأحزاب ففرَّق جمعهم وشتت شملهم، ولم
يتحقق لهم ما رَمَوْا إليه من هذا الغزو، وكفى الله المؤمنين القتال.

قال البقاعي: «ولما كان هذا أمراً باهراً، أتبعه ما يدل على أنه عنده يسير فقال:
﴿وَكَاتَبَ اللَّهُ﴾ أي الذي له كل صفة كمال دائماً أزلاً وأبداً ﴿قَوِيًّا﴾ لا يعجزه شيء
﴿عَزِيزًا﴾ يغلب كل شيء»^(٣).

ولزيادة التمكن يعود الاسم الظاهر، فترى العدول عن المضمَر إلى الظاهر:
﴿وَاللَّهُ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

(١) أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٢٣).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٧٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ٣٥١.

(٣) نظم الدرر، للبقاعي، (٦/ ٩٥).



قال ابن عاشور: «تذليل لأن الفضل يشمل إعطاء الخير والمعاملة بالرحمة، وتنبه على أن واجب مريد الخير التعرض لفضل الله تعالى والرغبة إليه في أن يتجلى عليه بصفة الفضل والرحمة، فيتخلى عن المعاصي والخبائث، ويتحلى بالفضائل والطاعات عسى أن يحبه ربه»^(١).

❁ خامساً: الإيغال:

وهو أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحُسناً، وأصل الكلمة من قولهم: أوغَلَ في الأمرِ، إذا أَبْعَدَ الذهابَ فيه، فتسميته بالإيغال؛ لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخِذٌ فيه، وبلغ إلى زيادةٍ على الحدِّ^(٢). ومنه: «ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها»^(٣).

وزعم بعضهم أنه خاصٌّ بالشعر، وُردَّ بأنه وقع في القرآن، من ذلك: ﴿قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ [يس: ٢٠-٢١]، فقلوه: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ إيغال؛ لأنه يتم المعنى بدونه، إذ الرسول مهتد لا محالة، لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه.

قال الزركشي: «فإنَّ الْمَعْنَى تَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿أَجْرًا﴾، ثُمَّ زَادَ الْفَاصِلَةَ لِمُنَاسَبَةِ رُءُوسِ الْآيِ، فَأَوْغَلَ بِهَا كَمَا تَرَى، حَتَّى أَتَى بِهَا تَفْيِيدَ مَعْنَى زَائِدًا عَلَى مَعْنَى الْكَلَامِ»^(٥).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٦٣٦).

(٢) استفدت هذا المعنى من بعض كتب البلاغة، يراجع البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ (ت ٥٤٤)، ص ١٠٠، والصناعتين، لأبي هلال العسكري: حسن بن عبد الله ٣٧٢، ٢٩٦ والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي، (٢/ ٣٣٣).

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ص ١٩٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/ ٩٧).



وقال ابن أبي الأصبع: «ومن إيغال الكتاب العزيز أيضًا قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١)، فإن المعنى تمَّ بقوله سبحانه: ﴿مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾، ثم أراد الفاصلة لمناسبة رؤوس الآي، فأوغل بها كما ترى، حيث أتى بها تفيد معنى زائدًا على معنى الكلام، وجاء في الكلام إيغال حسن بعد تميم»^(١).

قال ابن عاشور: «أي وهم متصفون بالاهتداء إلى ما يأتي بالسعادة الأبدية، وهم إنما يدعونكم إلى أن تسيروا سيرتهم، فإذا كانوا هم مهتدين فإن ما يدعونكم إليه من الاقتداء بهم دعوة إلى الهدى، فتضمنت هذه الجملة بموقعها بعد التي قبلها ثناء على المرسلين وعلى ما يدعون إليه، وترغيبًا في متابعتهم.

واعلم أن هذه الآية قد مثل بها القزويني في «الإيضاح» و«التلخيص» للإطناب المسمى بالإيغال، وهو أن يؤتى بعد تمام المعنى المقصود بكلام آخر يتم المعنى بدونه لنكتة، وقد تبين لك مما فسرنا به أن قوله: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ لم يكن مجرد زيادة، بل كان لتوقف الموعظة عليها، وكان قوله: ﴿مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ كالتوطئة له. ونعتذر لصاحب «التلخيص» بأن المثال يكفي فيه الفرض والتقدير»^(٢).



(١) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الأصبع (ص: ٢٣٦)

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢ / ٢١٤)

المبحث الثاني

﴿سمات التذييل﴾

للتذييل في محكم التنزيل سماتٌ فريدةٌ، لا يُمكنُ الإحاطةُ بها، ومن بين هذه السمات:

✽ أولاً: مراعاة الفاصلة:

وهذه سمةٌ بارزةٌ في تذييلات الآيات، ذلك أن للقرآن أسلوباً فريداً ومسلماً عجباً لا يشبه كلام البشر؛ فهو ليس بشعر ولا سجع ولا يشبه الكلام المرسل؛ ذلك؛ لأنه كلام من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

✽ ثانياً: التناسب:

«ترتيب المعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر، والقرآن العظيم كله متناسب، لا تنافر فيه ولا تباين»^(١). وللتناسب صورٌ عديدةٌ منها:

■ تناسب الأطراف:

ويسمى «تعانق الأطراف»، وذلك في تشابه الألفاظ فضلاً عن تناسب المعاني، ومثال ذلك ختام يونس: ﴿وَاتَّبَعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]، مع مطلع سورة هود ﴿الرَّكَابُ أَحْكَمْتُ بَيْنَهُ ثُمَّ فُصِّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [٥٣] وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ [الكهف: ٥٣ - ٥٤].

(١) الفوائد المشوقة لابن القيم ٨٧، ٨٨.



فالمجرمون لا يجدون مصرفاً لما هم فيه، وكيف وقد ذهبت الدنيا دارُ العمل، وصاروا في دار الجزاء، وقد نكبوا عن طريق النجاة وأعرضوا عنه في الدنيا، وهو كتاب الله تعالى الذي صرّف الله تعالى فيه من الآيات والعبر ووجوه الوعيد وأساليبه المتنوعة ؛ ليذكروا ويعتبروا فما زادهم إلا نفوراً وإعراضاً.

■ تناسب أول تذييل في مطلع السورة مع تذييل ختامها :

كما في سورة الحشر، قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحشر: ١]، مع قوله تعالى في ختامها: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

■ تناسب تذييل ختام السورة بتذييل ختام السورة التي تليها :

تأمل في ختام سورة الحجر وختام سورة النحل تجد توجيهات للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تثبت قلبه وتشدُّ أزره ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝١٧﴾ [الحجر: ١٧] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝١٩﴾ [الحجر: ١٩-٩٩]، وفي ختام النحل ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل: ١٢٧، ١٢٨].

وتأمل ختام سورة المزمل بقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١﴾ [المزمل: ١]، مع ختام سورة المدثر ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّفْوَىٰ وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ ۝٥١﴾ [المدثر: ٥١].

■ التناسب بين الألفاظ والمعاني، ويسمى بانتلاف اللفظ مع المعنى :

وهو عند أهل البلاغة أن تكون الألفاظ مناسبة للمعنى المقصود موائمة له،



«فإذا كان المعنى فخماً كان اللفظ الموضوع له جزلاً، وإذا كان المعنى رقيقاً كان اللفظ رقيقاً، وإذا كان المعنى غريباً كان اللفظ كذلك، وهو وادٍ من أودية البلاغة، وكنز من كنوز البيان، وسيأتي مثلاً له عند الحديث عن العمق والدقة.

✽ ثالثاً: التعميم:

ومن السمات الغالبة على التذليل القرآني التعميم، حيث يغلب على التذليل أسلوب التعميم؛ مما يخرج مخرج المثل السائر، والقاعدة الراسخة.

تأمل قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٨٦) فقد ورد في سبب نزولها: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِالشَّرْكِ ثُمَّ تَدَمَّرَ فَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمِهِ سَلُّوا لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَجَاءَ قَوْمُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: إِنَّ فُلَانًا قَدْ نَدِمَ، وَإِنَّهُ أَمَرَنَا أَنْ نَسْأَلَكَ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَزَلْتُ ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٨٦) إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٨٩) فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ فَأَسْلَمَ^(١).

فقد أفاد التذليل التعميم؛ احتراساً من قصر عدم الهداية على شخص بعينه، أو أهل طائفة بعينها، بل كل ظالم ليس جديراً بهداية الله تعالى، إذ العبرة بعموم

(١) رواه النسائي في السنن عن ابن عباس كتاب تحريم الدم. باب توبة المرتد. الحديث رقم: ٤٠٦٦ وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمان ص ٤٢٧ والحاكم في المستدرک ١٤٢/٢، ٣٦٦/٤ وقال في كلا الموضعين: صحيح الإسناد ولم يُخرجاهُ ووافقه الذهبي، كما رواه الطبري في تفسيره بإسناد صحيح: جامع البيان ٣/٣٢٨ والبيهقي في اسنن الكبرى ٨/١٩٥.



اللفظ لا بخصوص السبب، وسياق الآيات في كفار أهل الكتاب، وإن كانت تشمل كل من اختار طريق الكفر بعد جلاء البرهان، أو ارتد عن الإسلام.

قال السعدي: «فهؤلاء ظلموا وتركوا الحق بعدما عرفوه، وأتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه، ظلمًا وبغيًا واتباعًا لأهوائهم، فهؤلاء لا يوفقون للهداية؛ لأن الذي يرجى أن يهتدي هو الذي لم يعرف الحق وهو حريص على التماسه، فهذا بالحري أن يُيسر الله له أسباب الهداية ويصونه من أسباب الغواية^(١).

❁ رابعًا: الوضوح والبيان:

من سمات التذيل القرآني الوضوح والبيان، فلا غموض فيه ولا خفاء، وهذه سمة عامة من سمات القرآن، فهو كتاب بين واضح، يأتي التذيل واضحًا بينًا، وقد سبق الحديث عن التوضيح والتبيين في فوائد التذيل.

❁ خامسًا: التكرار:

وهو مُستطابٌ في كلام الخالق جَلَّ وَعَلَا؛ له حلاوته وتأثيره، وله فوق ذلك مقاصده، وهو وسيلة من وسائل البيان والتقرير والإقناع، ومنهج تربوي أصيل، وفيه موعظة وتذكير، وزيادة تفصيل وبيان.

وإذا كان التكرار في كلام البشر كثيرًا ما يمل منه القارئ والسامع، فإن التكرار في القرآن سمة من سماته الرائعة وأساليبه البديعة، ودليل على صدقه وبرهانه على أنه من كلام الخالق جَلَّ وَعَلَا وقد قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ نَقْشَعَرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ

(١) تفسير السعدي (١/ ١٣٧).



هُدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزمر: ٢٣]، أي يشبهه بعضه بعضاً في روعته ورفعته، وجماله وجلاله ومقاصده، وأحكامه وحكمه، وقصصه وأمثاله وحواراته^(١).

سادساً: العمق والدقة:

من سمات التذييل القرآني: العمق والدقة في المعاني والألفاظ؛ فالقرآن كتاب محكم مفصل نزل من لدن حكيم خبير.

قال تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَحْكَمْتُ إِيَّاهُ، ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ﴿١﴾ [هود: ١].

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَلْأَقْرَبَ الْقُرْآنِ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿٦﴾ [النمل: ٦].

قال ابن عطية في مقدمة التفسير: «إن كتاب الله لو نُزِعَتْ منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهه في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة»^(٢).

سابعاً: التنوع والتفنن:

ذكرتُ في فوائد التذييل كونه من ألوان التصريف في القول، ومن أساليب القرآن وفنونه، وهنا أذكر كون التنوع والتفنن سمةً من سمات التذييل بوجه خاص، فللتذييل صورٌ متنوعة وفنونٌ رائعة تتناسب مع المضمون والسياق،

(١) ويراجع ما ذكره الزرقاني في مناهل العرفان ٢ / ٢٦٢.

(٢) مقدمة المحرر الوجيز لابن عطية ١ / ٣٩، وقد نبّه الباقلاني كذلك على دقة القرآن الكريم في اختيار الألفاظ، وأن الكلمة في القرآن تنزل في مكانها المناسب لها، مستقرة غير نافرة، وضرب لهذا أمثلة كثيرة إعجاز القرآن الباقلاني ١ / ١٨٤، ويراجع ما ذكره الخطّابي حول هذا المعنى في كتابه: بيان إعجاز القرآن للخطّابي: أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٢٩.



وتضفي على رياض القرآن وحدائقه المونقة بهجةً وضياءً وروعةً ورواءً، وصدق من قال:

عبارَاتُنَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ وَكُلُّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ

■ ومن التنوع في التذليل:

اتفاق صدر الآية مع اختلاف فاصلتها، وله شواهد كثيرة في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) [إبراهيم: ٣٤]، حيث سبق الحديث عن الكفر وعاقبته، ومن بدلوا نعمة الله كفراً: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٢) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣) [إبراهيم: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (٢٨) [إبراهيم: ٢٨]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٨) [النحل: ١٨].

فسياق السورة في الحديث عن نِعَمِ اللَّهِ تعالى الماثلة في هذه السورة الكريمة، ومنها مغفرته تعالى ورحمته لعباده.

وأشار الرازي إلى نكتة لطيفة، فقال عند تفسيره لموضع النحل: «البحث الثاني: أنه تعالى قال في هذا الموضع: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ وقال في سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، ولما تأملت فيه لاحت لي فيه دققة، كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت الذي أخذتها وأنا الذي أعطيتها، فحصل لك عند أخذها وصفان: وهما كونك ظلوماً كفاراً، ولي وصفان عند إعطائها وهما كوني غفوراً رحيماً، والمقصود كأنه يقول: إن كنت ظلوماً فأنا



غفور، وإن كنت كفارًا فأنا رحيم، أعلم عجزك وقصورك، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازي جفاء إلا بالوفاء، ونسأل الله حُسن العاقبة والرحمة»^(١).

■ ومن التنوع والتفنن:

التَّذْيِيلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨].

التَّذْيِيلُ فِي الْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَغُّوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩].

فَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى فِي الْوَعِيدِ؛ حيث جمعوا إلى جانب كفرهم صدهم عن سبيل الله، فكان التهديد الثاني أشد من الأول، لأنه أنكر عليهم في الآية السابقة مجاهرتهم بالكفر وإصرارهم عليه، ثم أنكر عليهم في هذه الآية سعيهم واحتيالهم في الصّدّ عن سبيل الله من آمن، وحرصهم الدائب على نشر الزيف والانحراف والإضلال أشد من الضلال.

قال البيضاوي: «لما كان المنكرُ في الآية الأولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله: ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾»، ولما كان في هذه الآية صدهم للمؤمنين عن الإسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾»^(٢).
فالتأمل في الجملتين يلحظ التدرج في مخاطبتهم وترهيبهم، وأضيف إلى ذلك أن التذييلات المتلاحقة يكمل بعضها بعضًا.

(١) التفسير الكبير الرازي (١٩/١٠٠)

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ص ٨٣.



ومن التنوع والتفنن أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]. «خُتِمَتِ الْآيَةُ الْمَتَقَدِّمَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ افْتَرَىٰ﴾ وهذه بقوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾؛ لأن الأولى في شأن أهل الكتاب وهم عندهم علمٌ بصحة نبوته، وأن شريعته ناسخةٌ لجميع الشرائع، ومع ذلك فقد كذبوا في ذلك وافترأوا على الله، وهذه في شأن قوم مشركين ليس لهم كتاب ولا عندهم علم، فناسب وصفهم بالضلال، وأيضاً قد تقدم هنا ذكر الهدى وهو ضدُّ الضلال^(١).

كذلك في هذا التنوع بيانٌ لكون المشرك بالله قد جمع بين هذين الإثمين بين افتراءه على الله تعالى وبين ضلاله؛ فالشُّركُ افتراءٌ وإثمٌ عظيمٌ كما أنه أعظمُ أنواع الضلالة، وأبعدها عن الصواب والاستقامة.

■ ومن التنوع في التذييل :

ما نلاحظه من ختام الآيات بأساليب متنوعة إنشائية أو خبرية، مثل ختامها بجملة منفية: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فِرْقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧]، فادعوا الإيمان وجاء الختام نافيًا دعواهم.

■ ختامها بالاستفهام :

تأمل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الِئْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَآءٍ أَوْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ لَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ (٧٢) [القصص: ٧١، ٧٢].

(١) راجع درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي ص ٧٩، ٨٠.



قال الرازي: «وإنما قرن بالضياء أفلا تسمعون؛ لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من درك منفعه ووصف فوائده، وقرن بالليل أفلا تبصرون؛ لأن غيرك يدرك من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه»^(١).

وقال الألوسي: «ولعله لاعتبار الأولية والآخرية ذُيِّلَت الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، بناء على أن المعنى ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ممن سلف من آبائكم، أو مما سلف منا أن ألهتكم لا تقدر على مثل ذلك! والثانية بقوله سبحانه ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ بناء على أن المعنى ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أنتم عجزها عن مثل ذلك.

وقيل في وجه تذييل الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ دون قوله سبحانه ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: إن المفروض لو تحقق بقي معه السمع دون الإبصار؛ إذ ظلمة الليل لا تحجب السمع وتحجب البصر، وفي وجه تذييل الثانية بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ دون أفلا تسمعون أن تحقق المفروض وعدمه سيان في أمر السمع دون الإبصار، إذ لضياء النهار مدخل في الإبصار، وليس له مدخل في السمع أصلاً»^(٢).

■ ختامها بالشرط:

قال تعالى: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فجاءت الجملة الشرطية تحذيرية لمن يخالف

(١) التفسير الكبير، للرازي (١٣/٢٥).

(٢) روح المعاني، (١٠٨/٢٠).



شرع الله في الطلاق، مقررة للأحكام الشرعية مؤكدة أن العدل فيها، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١]. وحذف جواب الشرط لدلالة السياق عليه. وفي التذييل إلهاب لمشاعر المؤمنين، وحث لهم على الطاعة.

■ ختامها بالمدح:

﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١]. حيث جاء أسلوب المدح مقررًا لما جاء من أوصاف النعيم مجملًا له. وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وفيه تقرير للأحكام، وتشويق للنفوس المحبة لربها بامثال أوامره والتزام ما يحبه.

■ ختامها بالذم:

﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩].

■ ختامها بالتعليل:

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]. فلو عقلوا لعظموها.

■ ختامها بالأمر:

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَآتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، والتناسب بين الحج والحشر واضح. «قال الحرالي: وكلية الحج ومناسكه مطابق في الاعتبار لأمر يوم الحشر ومواقفه، من خروج الحاج من وطنه متزودًا



كخروج الميت من الدنيا متزودًا بزاد العمل، ووصوله إلى الميقات وإِهْلَالِهِ متجرّدًا كانبعاثه من القبر متعريًا، وتليّيته في حجه كتليّيته في حشره»^(١).

ومع هذا التفنن والتنوع في التذييلات إلا أن الحُسن واحد، فالقرآن الكريم في درجةٍ واحدةٍ من الفصاحة والبيان والحسن والروعة والبلاغة والرفعة؛ فهو كلام الله تعالى الذي لا تَمَلُّ منه النفوسُ ولا يشبَعُ منه الوجدانُ، قال ابن قتيبة: «وجعل الله تعالى القرآن متلوًّا، لا يُمَلُّ على طولِ التلاوةِ، ومسموعًا لا تُمَجُّه الأذانُ، وغضًّا لا يخلَقُ على كثرة الترداد»^(٢).

❁ ثامنًا: التناسق:

وهذا التناسق نلمسه في التشابه اللفظي والمعنوي بين التذييلات في السورة الواحدة، مع حُسن الترتيب، تأمل في سورة المنافقون: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۚ﴾ (٧) يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْزَمُهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ [المنافقون: ٧، ٨]، فجاءت الخاتمتان مختلفتين إثراء للمعنى واستيعابًا للمقصود، كما أن البلاغة تقتضي الترقّي في النفي من الأعلى للأدنى، فنفي عنهم الفقه ثم نفي العلم، يقال: فلان ليس بفقيه ولا عالم، ولا يقال: فلان ليس بعالم ولا فقيه، فالفقه أعلى مرتبة من العلم.

كما أن الحقيقة الأولى غيبية لا يدركها إلا من له علم وفهم وإدراك، والثانية مشاهدة ملموسة فلا تخفى سوى على جاهل لا علم له. وقد أشار الفيروزآبادي لمعنى لطيف فقال: «قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وبعده: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾،

(١) نظم الدرر للبقاعي، (١/ ٣٨٣).

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣.



لَأَنَّ الْأَوَّلَ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وفي معرفتها غموضٌ يحتاج إلى فطنة، والمنافق لا فطنة له؛ والثاني مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨) أي: لا يعلمون بأن الله مُعِزٌّ لأوليائه ومُذِلٌّ لَأَعْدَائِهِ. (١)

كذلك في سورة الحشر: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٣) لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ يَبْنِيهِمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٤) [الحشر: ١٣، ١٤]، فالتفقه أعلى مرتبة من مجرد التعقل؛ لذا نفى الأعلى قبل نفي الأدنى.

فَالْآيَةُ الْأُولَى اشْتَمَلَتْ عَلَى حَقِيقَةٍ لَا تَغِيبُ إِلَّا عَلَى مَنْ لَا فَهْمَ لَهُ؛ إِذْ هِيَ تُعَبِّرُ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ، فَكَانَ الْآخَرَى بِهِمْ أَنْ تَمْتَلِئَ قُلُوبُهُمْ بِرَهْبَةِ اللَّهِ، لَكِنَّا امْتَلَأَتْ بِرَهْبَةِ الْخَلْقِ، وَلَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ لَقَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. وَالْحَقِيقَةُ الثَّانِيَّةُ لَا تَغِيبُ إِلَّا عَلَى مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ، فَهِيَ وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ تُعَبِّرُ عَنْ ظَاهِرِ حَالِهِمْ، التَّحَصُّنِ وَبِنَاءِ الْجُدُرَانِ وَالتَّشَرُّدِزِمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَلَا يَجْمَعُهُمْ إِلَّا كِرَاهِيَةُ الْمُسْلِمِينَ.

قال الشيخ زكريا الأنصاري: «ختمه هنا بقوله ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ وبعده بقوله ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ لأن الأول متصل بقوله: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي لأنهم يفقهون ظاهر الشيء دون باطنه، والفقه معرفة الظاهر والباطن، فناسب نفية الفقه عنهم. والثاني مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا، فناسب نفى العقل عنهم» (٢).

(١) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٣٢٠)

(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، الشيخ زكريا الأنصاري (ت: ٩٢٦هـ) (١/ ٥٥٨).



وقال النيسابوري: «وإنما قال هاهنا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وفي الأول ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ لأن الفقه معرفة ظاهر الشيء وغامضه فنفي عنهم ذلك كما قلنا، وأراد هاهنا أنهم لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا، فتشتتهم دليل عدم عقلهم؛ لأن العقل يحكم بأن الاجتماع معين على المطلوب والتفرق يوهن القوى ولا سيما إذا كانوا مبطلين»^(١).

وقال عبد الكريم الخطيب: «ولهذا جاء وصفهم هنا ﴿بأنهم قومٌ لا يعقلون﴾ على حين جاء وصفهم في مقام خوفهم من الناس أشد من خوفهم من الله: ﴿بأنهم قومٌ لا يفقهون﴾ إذ كان العقل - مجرد العقل - كافياً في تقدير السلامة من الخطر، وأن السلامة رهن بالاجتماع لا بالتفرق، حتى إن بعض الحيوانات لتهتدي إلى هذا بغريزتها، فإذا واجهها خطر واجهته جبهة واحدة، لم يفر منها أحد. أما في مقام خشية الله، فإنها لا تكون عن عقل - مجرد عقل - بل لا بد من عقل، معه فقه وعلم»^(٢).

وفي سورة الطلاق: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كَمَا يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: ٢].

وقال جَل وَعَلَا: ﴿وَالَّتِي يَسْنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾
ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق: ٤، ٥].

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٢٨٧ / ٦)

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (ت ١٣٩٠) (١٤ / ٨٧٣).



ففي ثنايا الحديث عن أحكام الطلاق نلمسُ هذه اللطائف التربوية من ترسيخٍ للإيمان وتهذيبٍ للنفوس وتركيزٍ لها، وتحليقٍ بها في أجواء الفضيلة، ومن تغذيةٍ للعقول وتوعيةٍ لها وتبصرةٍ للقلوب، وغرسٍ للقيم. فتقوى الله تعالى والتوكل عليه واليقين بما عنده خيرٌ ما يواجهُه به العبدُ ما يعتريه من هموم، وما يعترضه من مشكلات وأزمات.

وللتقوى أثرها في حياة المسلم ومعاملاته وسلوكه؛ والأتقياء أوفى الناس وأحرصهم على أداء الحقوق، من هنا تأتي أهمية التقوى في الامتثال لشرع الله تعالى في الطلاق. والملاحظ ارتباط جميع آيات الطلاق في القرآن بالحض على التقوى، تأمل في قول سبحانه في سورة البقرة في ثنايا الحديث عن أحكام الطلاق والأمر بالعدل والإحسان: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا نَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١].

وفي النساء بعد الحديث عن أحكام النساء والوصية بهن ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾: حض على التقوى في سائر الأحوال، ولا سيما فيما سبق من أمر الطلاق، والمعنى ومن يتق الله فيطلق للسنة ولم يضار المعتدة، ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد، ولم يظلم ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من الهموم والكروب والكرب والمحن.

قال البيضاوي: «وعدُّ لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون»^(١).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي ٤١٥/٣.



وقال النيسابوري: «ومن أسرار القرآن ولطائفه أنه سبحانه حثَّ على التقوى في هذه السورة ثلاثَ مراتٍ: بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ وذلك على عدد الطلقات الثلاث، ووعد في كل مرة نوعاً من الجزاء:

* **الأول:** أنه يخرجهُ مما دخل فيه وهو كاره، ويتيح له خيراً ممن طلقها.

* **الثاني:** اليسر في الأمور والموالاتة في المقاصد ما دام حياً.

* **الثالث:** (أفضل الجزاء) وهو ما يكون في الآخرة من النعماء»^(١).

وقال صاحب الظلال: «﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ٢ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. مخرجاً من الضيق في الدنيا والآخرة، ورزقاً من حيث لا يقدر ولا ينتظر، وهو تقريرٌ عام، وحقيقة دائمة، ولكن إلصاقها هنا بأحكام الطلاق يوحي بدقة انطباقها وتحققها عندما يتقي المتقون ربَّهم في هذا الشأن بصفة خاصة، وهو الشأن الذي لا ضابط فيه أحس ولا أدق من ضابط الشعور والضمير، فالتلاعب فيه مجاله واسع، لا يقف دونه إلا تقوى الله وحساسية الضمير»^(٢).

وقد جمعت هذه الوعود الثلاث لأعظم ما يحتاجه الإنسان، فالمُمتَحَن والمُبتَلَى يبحث عن المخرج، سيما لو كانت المحنة في الحياة الزوجية، يحتاج إلى تيسير من الله تعالى أن ييسر الله على الزوج المُعَسَّر للوفاء بالتزاماته المالية والمعيشية، وييسر على الحامل حملها ووضعها، ثم الجميع في حاجة لتكفير الله تعالى السيئات، سيما ما قد يقع بين الزوجين، بسبب الغضب والكرهية والنفور، فيلاحظ هذا الترتيب العجيب، لشد ما يحتاجه المُمتَحَن إلى المخرج، ثم بعد

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري (٧ / ١٧٥).

(٢) في ظلال القرآن (٦ / ٣٦٠٨).



إِسْعَافُهُ بِالْمَخْرَجِ يَحْتَاجُ لِلتَّيْسِيرِ، ثُمَّ فِي النِّهَايَةِ يَحْتَاجُ لِلْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْفَضْلِ
مِنَ الْمَوْلَى الْقَدِيرِ.





﴿ الخاتمة ﴾

وتشتمل على:

* أولاً: خلاصة البحث ونتائجُه.

* ثانياً: توصيات.

* ثالثاً: المراجع.

✽ أولاً: خلاصة البحث ونتائجُه :

* بعد هذه الرحلة في رحاب القرآن: يمكننا أن نقدّم خلاصة البحث ونتائجُه في السطور التالية:

* جملةُ التذييل: جملةٌ تأتي في ختام الآية بعد تمام المعنى لتقريره وبيانه، وهي من خصائص أسلوب القرآن، ومن فنون بلاغته، وأفانين روعته، وغرضها البيان والتقرير وإثراء المعنى وتحقيقه. وخرج بقولنا جملة: شبه الجملة، والمفردة؛ فإنها لا تصلح تذييلاً، بل التذييل جملة اسمية أو فعلية.

* بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتذييل صلةٌ قويّةٌ.

* الفاصلةُ هي الكلمةُ الأخيرةُ في الآية، تمّ بها المعنى أم لم يتمّ، أما التذييلُ: فإنه يأتي بتمام المعنى.

* التذييلُ لا يكونُ إلا جملةً، أما الفاصلةُ فإنها المقطع الأخير في آخر كلمة بالآية، وقد تكون الآية كلها فاصلة، مثل البداية بالأحرف المقطعة في أوائل السور لمن عدها آية، وقد تكون الآية كلمة واحدة فتكون الفاصلة مقطوعها الأخير.



- * كُلُّ نِهَآيَةِ آيَةٍ فَاصِلَةٌ، وَلَيْسَ كُلُّ فَاصِلَةٍ تَذْيِيلًا.
- * يُرَاعَى فِي التَّذْيِيلِ دَائِمًا تَنَاسُبُ الْمَعْنَى، وَيُرَاعَى فِي الْفَاصِلَةِ غَالِبًا التَّوَافُقُ اللَّفْظِيُّ وَالْإِنْسَجَامُ الصَّوْتِيُّ، مَعَ اتِّسَاقِ الْمَعْنَى.
- * تَأْتِي جُمْلَةُ التَّذْيِيلِ مَوْصُولَةً تَارَةً وَمَفْصُولَةً تَارَةً، حَسَبَ سِيَاقِهَا وَاتِّسَاقِهَا.
- * تُحَقِّقُ جُمْلَةُ التَّذْيِيلِ أَغْرَاضًا كَثِيرَةً، مِنْهَا: التَّبْيِينُ وَالتَّقْرِيرُ، وَالتَّعْلِيلُ وَالْإِحْتِرَاسُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى التَّنَاسُقِ وَالتَّنَاسُبِ بَيْنَ جُمْلَةِ التَّذْيِيلِ وَالْكَلَامِ الْمُذَيَّلِ.
- * عُنِيَ عِدَدٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ لَطَائِفِ التَّذْيِيلَاتِ، وَإِبْرَازِ مَعَانِيهَا، وَبَيَانِ تَنَاسُبِهَا وَتَأْخِيحِهَا، وَتَجْلِيَةِ لَطَائِفِهَا وَدِقَائِقِهَا، وَلَا تَكَادُ تَخْلُو سَائِرُ كُتُبِ التَّفْسِيرِ مِنْ بَيَانٍ لِلتَّذْيِيلِ عَلَى تَفَاوُتٍ بَيْنَهَا فِي مَدَى الْعَنَآيَةِ بِهَذَا الْمَوْضُوعِ، وَمِمَّنْ عُنِيَ بِإِبْرَازِ لَطَائِفِ التَّذْيِيلِ فِي الْقُرْآنِ: أَبُو حَيَّانٍ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ، وَالبَقَاعِيُّ فِي نَظْمِ الدَّرَرِ، وَأَبُو السَّعُودِ فِي إِرْشَادِ الْعَقْلِ السَّلِيمِ، وَالبَيْضَاوِيُّ فِي أَنْوَارِ التَّنْزِيلِ، وَالعَدِيدُ مِنْ كُتَّابِ حَوَاشِيهِ، وَالْأَلُوسِيُّ فِي رُوحِ الْمَعَانِي، وَابْنُ عَاشُورٍ فِي التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ، وَغَيْرُهُمْ.
- * لِلتَّذْيِيلِ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ سِمَاتٌ فَرِيدَةٌ، وَمَزَايَا عَدِيدَةٌ، لَا يُمَكِّنُ الْإِحَاطَةَ بِهَا، كَمَا لَا يُمَكِّنُ لِمَنْ يَجُولُ فِي رَوْضٍ أَوْ يَنْظُرُ لِبَحْرٍ أَنْ يَحِيطَ بِأَسْرَارِهِ وَيَحْصِيَ عَجَائِبَهُ، وَمِنْ بَيْنِ هَذِهِ السِّمَاتِ الْفَرِيدَةِ: التَّنَاسُبُ، التَّعْمِيمُ، الْوَضُوحُ وَالبَيَانُ، التَّكْرَارُ، الْعَمَقُ وَالدَّقَّةُ، التَّنَوُّعُ وَالتَّفْنِنُ.
- * لِلتَّذْيِيلِ فَوَائِدُ عَدِيدَةٌ، وَحِكَمٌ رَشِيدَةٌ، فَهُوَ لَوْنٌ مِنْ أَلْوَانِ الْإِطْنَابِ بِهِ تَأَلَّفُ الْجُمَلُ وَتَأَلَّفُهَا، وَتَعَانَقُ الْعِبَارَاتُ وَتَأَنَّقُهَا، وَانْجِلَاءُ الْمَعَانِي وَتَدَفُّقُهَا، وَفِيهِ مِنَ الْمُحَسَّنَاتِ الْبَلَاغِيَةِ مَا فِيهِ؛ حَيْثُ حَسَنُ الْخَتَامِ، وَبِرَاعَةُ الْمَقْطَعِ،



- وتعانق الأطراف، وجمال الفاصلة، وعمق الصلة، وغير ذلك.
- * للوقوف على بلاغة التذييل ومعرفة حكمه وأسراره: أصول مهمة لا بد من مراعاتها، من هذه الأصول: الاستعانة بالله تعالى على فهم كلامه، ومراعاة مقاصد القرآن الكريم، والدراية باللغة العربية وأساليبها وفنونها، ومراعاة قواعد التفسير وأصوله، والنظرة الكلية للسورة، والنظر في السياق، والتدوُّق، وصفاء الذهن، مع معاشة القرآن الكريم عملاً وسلوكاً ودعوةً.
- * يأتي التذييل القرآني مؤكداً للمفهوم تارة وقد يأتي مؤكداً للمفهوم والمنطوق معاً، كما ذكرنا في بلاغة «التصدير».
- * نظرة المفسر للبلاغة القرآنية نظرة عميقة واعية، بعيدة المدى، لا تتوقف عند إبرازها، بل تنطلق منها إلى فهم عميق واستنباط دقيق للمعاني والأحكام، فهي وسيلة للمفسر لا غاية، وهي مفاتيح لأبواب التدبر.
- * من خلال الدراسة التطبيقية: رأينا مدى الدقة والعمق في التذييلات، ومدى تناسبها وتلاحمها مع الآية.
- * رأينا كيف حوت جمل التذييل واستوعبت كثيراً من فنون البلاغة بأسلوب سهل لا تكلف فيه ولا غموض.
- * للتذييل أثرٌ بالغ في ترسيخ العقيدة وتقرير الأحكام الشرعية، بالحض على أمثالها، وبيان مقاصدها وحكمها، وإقامة الحجة، ودحض شبه المبطلين.
- * يأتي التذييل بحكمة تشريعية، أو بمقصد قرآني، كما يأتي باسم أو اسمين مقترنين من أسماء الله الحسنى، وقد يأتي بجملة تحضيضية، أو تعجيية، أو إنكارية، أو غير ذلك من معان ومقاصد.

❁ ثَانِيًا: تَوْصِيَّاتٌ:

آمل من أساتذتي الكرام المطالبة بإضافة مقررٍ دراسيٍّ في مرحلة الإجازة والدراسات العليا، يُعنى بالغوص في أعماق البلاغة القرآنية، وتوظيفها في فهم المعاني واستنباط العبر والأحكام، وإبراز إعجاز القرآن، وروائع أساليبه ونظمه. وبعد: فما كان في هذا البحث من صوابٍ فله الحمد والمنة، وما كان من خطأ فمِن نفسي، وما توفيقي إلا بالله.





﴿المصادر والمراجع﴾

١ القرآن الكريم

كتب التفسير وعلوم القرآن:

١. الإِتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، ط عالم الكتب بيروت، بدون.
٢. أحكام القرآن، لابن العربي: أبي بكر محمد بن عبد الله (٥٤٣ هـ)، دار الفكر بيروت ١٤٠٨ هـ.
٣. أخلاق حملة القرآن، للأجري محمد بن حسين الآجري (٣٦٠ هـ)، ط دار الكتاب العربي.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد مصطفى العمادي الحنفي (ت ٩٨٢ هـ)، ط دار الفكر، بدون.
٥. الأساس في التفسير، للشيخ سعيد حوى (ت ١٤٠٩ هـ)، ط دار السلام بالقاهرة ١٤٠٥ هـ، ط ١.
٦. أسباب النزول، للواحدي: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٣٩٥ هـ.
٧. إعجاز القرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) بهامش الإِتقان في علوم القرآن ط عالم الكتب بيروت، بدون.
٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن



- عمر بن محمد البيضاوي (ت ٦٩٢ هـ)، ط دار الرشيد بيروت ١٤٢١ هـ.
٩. **بحر العلوم**، لعلاء الدين السمرقندي، (ت ٨٦٠ هـ)، ط دار الفكر بيروت ط ١٤١٨ هـ.
١٠. **البحر المحيط**، للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٧٥٤ هـ)، ط دار إحياء التراث العربي ط سنة ١٤١١ هـ ثانية.
١١. **بدائع الفوائد**، لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، ط دار ابن الجوزي بالرياض.
١٢. **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة**، عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي (ت ١٤٠٣ هـ) مكتبة الدار بالمدينة المنورة ط ١٤١٤ هـ.
١٣. **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦ هـ.
١٤. **بيان إعجاز القرآن**، للخطابي أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨ هـ) ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ط دار المعارف ط ٣.
١٥. **البيان في عدّ آي القرآن**، لأبي عمرو الداني الأندلسي ت ٤٤٤ هـ ط منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت ١٤١٤ هـ.
١٦. **تأويل مشكل القرآن**، لابن قتيبة الدينوري أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)، ط دار التراث.



١٧. **التحرير والتنوير**، للأستاذ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، ط دار سحنون للنشر والتوزيع تونس.
١٨. **التسهيل لعلوم التنزيل**، للإمام المفسر محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي ت ٧٩٢هـ.
١٩. **تفسير القرآن العظيم**، لابن أبي حاتم للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ)، ط مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة ١٤١٩هـ.
٢٠. **تفسير القرآن العظيم**، للإمام عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١)، ط دار المعرفة بيروت.
٢١. **تفسير القرآن العظيم**، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤)، ط دار طيبة ٢ - ١٤٢٠هـ.
٢٢. **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم الخطيب ط دار الفكر العربي بالقاهرة.
٢٣. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن السعدي (ت ١٣٧٦)، ط مؤسسة الرسالة ١، ١٤٢٣هـ.
٢٤. **جامع البيان في تفسير القرآن**، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠)، ط دار إحياء التراث العربي ط ٢.
٢٥. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧١)، ط دار الكتب العلمية بيروت.
٢٦. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، للثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، ط مؤسسة الأعلمي بيروت، بدون تاريخ.



٢٧. **الجواهر في تفسير القرآن**، طنطاوي جوهرى ١٣٥٨هـ، ط دار إحياء التراث العربى بيروت ١٤١٢هـ.

٢٨. **حاشية الشهاب «عناية القاضي وكفاية الراضى»**، على تفسير البيضاوي لشهاب الدين الخفاجي ت ١٠٦٩هـ، ط دار صادر بيروت، بدون تاريخ.

٢٩. **حاشية الصاوي على الجلالين**، أحمد بن محمد الصاوي المالكي (ت سنة ١٢٤١ هـ)، ط دار إحياء التراث العربى.

٣٠. **حاشية محيى الدين شيخ زاده على البيضاوي**، محمد بن مصلح الدين مصطفى القونوي الحنفى ت ٩٥١ هـ على تفسير القاضي البيضاوي ت ٦٨٥ هـ ط دار الكتب العلمية بيروت.

٣١. **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعى ط دار طوق النجاة بيروت ١٤٢١هـ.

٣٢. **ختم الآيات بأسماء الله الحسنى ودلالاتها**، د. على سليمان العبيد بحث محكم ط دار العاصمة بالرياض ط ١٤١٨هـ.

٣٣. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أحمد بن يوسف، السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ط ١ دار القلم بدمشق ١٤٠٧هـ.

٣٤. **الدر المنشور في التفسير بالمأثور**، لجلال الدين السيوطى (٩١١ هـ)، ط دار الفكر سنة ١٤٠٣هـ.

٣٥. **درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي** أبى عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٢٠)، ط دار الآفاق الجديدة بيروت أولى ١٣٩٣هـ.



٣٦. **روح البيان**، للبروسوى إسماعيل حقي (ت ١٣٧٠ هـ)، ط دار الفكر، بدون تاريخ.

٣٧. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)، ط دار إحياء التراث العربي ط ٤ سنة ١٤٠٥ هـ.

٣٨. **زاد المسير في علم التفسير**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٦ هـ)، ط المكتب الإسلامي بيروت ط ١ سنة ١٣٨٥ هـ سنة ١٩٦٥ م.

٣٩. **زهرة التفاسير**، محمد أبي زهرة رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٣٩٤ هـ)، ط دار الفكر العربي.

٤٠. **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلمات ربنا الحكيم الخبير**، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشريني (ت ٩٧٧ هـ)، ط دار المعرفة بيروت ط ٢، بدون تاريخ.

٤١. **شرح الهداية في توجيه القراءات**، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت ٤٤٠ هـ) مكتبة الرشد بالرياض ط ١٤١٦ هـ.

٤٢. **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، عبد الرحمن محمد الدوسري ت ١٣٩٩ هـ ط دار المغني للنشر والتوزيع بالرياض ط ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.

٤٣. **الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم**، نذير حمدان. ط دار المنارة جدة ط ١٤١٢ هـ - ١.



٤٤. **العجاب في بيان الأسباب**، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، ط دار ابن الجوزي بالرياض.
٤٥. **الغاية في القراءات العشر**، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت ٣٨١ هـ)، ط مطابع العبيكان ط ١ - ١٤٠٥ هـ.
٤٦. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ت ٧٢٨ هـ، ط البابي الحلبي سنة ١٣٨١ هـ، ط أولى.
٤٧. **فتح البيان في مقاصد القرآن**، صديق حسن خان القنوجي (١٣٠٧ هـ) مطبعة العاصمة بالقاهرة سنة ١٩٦٥ م.
٤٨. **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، (ت ٩٢٦ هـ) حققه: محمد علي الصابوني، ط دار القرآن الكريم، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٤٩. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي بن الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) - ط دار الفكر، بدون تاريخ.
٥٠. **فهم القرآن ومعانيه**، لأبي عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ)، ط ٢ دار الكندي أدار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ.
٥١. **في ظلال القرآن**، لسيد قطب (ت ١٩٦٦ م) دار الشروق سنة ١٤٠٧ هـ - ط ١٣.
٥٢. **قطف الأزهار في كشف الأسرار**، للسيوطي، وزارة الأوقاف ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م قطر.



٥٣. **قواعد التدبر الأمثل**، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ط دار القلم دمشق ١٤٠٩هـ ط ٢.
٥٤. **الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها**، نصر بن علي بن محمد أبي عبد الله الشيرازي الفارسي النحوي المعروف بابن أبي مريم (ت ٥٦٥هـ) طبع الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة ١٤١٤هـ ط ١.
٥٥. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لمحمود بن عمر الزمخشري المعتزلي (ت ٥٢٨هـ)، ط دار الفكر، بدون تاريخ.
٥٦. **كشف التنزيل في تحقق مباحث التأويل**، لأبي بكر الحداد اليميني (ت ١١٣٢هـ) ط ١، دار المدار الإسلامي بيروت ٢٠٠٣م.
٥٧. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت ٧٤١هـ) ط ٢ البابي الحلبي ١٣٧٥هـ.
٥٨. **اللباب في علوم الكتاب**، لابن عادل الحنبلي لسراج الدين أبي حفص: عمر بن علي بن عادل الحنبلي، الدمشقي. ط دار الكتب العلمية ط ١ - ١٩٩٨م.
٥٩. **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين القاسمي، ت ١٣٢٢، ط دار إحياء الكتب العربية. مصر.
٦٠. **المحرر الوجيز**، لابن عطية عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، ط مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر - الدوحة ١٤٠٣هـ.



٦١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي عبد الله بن أحمد بن محمود (ت ٧١٠هـ)، ط دار الفكر.
٦٢. مراصد المطالع الطالع في تناسب المطالع والمقاطع، للسيوطي ط مكتبة دار المنهاج بالرياض ١٤٢٦ هـ ط ١
٦٣. مرشد الخلان إلى معرفة عد أي القرآن، عبد الرازق على إبراهيم موسى، ط المكتبة العصرية بيروت.
٦٤. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت ٨٨٥ هـ)، ط مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٨ هـ.
٦٥. معالم التنزيل، للبغوي الحسين بن مسعود (ت ٥١٦ هـ)، ط دار الكتب العلمية بيروت.
٦٦. معاني القرآن الكريم، للإمام أبي جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ، ط مركز إحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة ط ١٤٠٨ هـ ط ١.
٦٧. معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، ط دار السرور بيروت.
٦٨. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ)، ط سنة ١٤٠٨ هـ، ط أولي ط عالم الكتب ٠
٦٩. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) دار الفكر ١٤٠٥ هـ.



٧٠. **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني: للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، ط دار القلم - دمشق.

٧١. **النبا العظيم**، د. محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧ هـ)، ط مطبعة السعادة ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩ م.

٧٢. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين البقاعي (٨٨٥ هـ)، ط دار الكتب العلمية.

٧٣. **النكت في إعجاز القرآن**، للرماني أبي الحسن علي بن عيسى (٣٨٤ هـ) ضمن كتاب ثلاث رسائل في الإعجاز تحقيق محمد زغلول سلام وآخرون ط دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٨ م.

✿ كتب السنة:

٧٤. **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان**، للأمر علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ) - تحقيق شعيب الأرناؤوط - ط مؤسسة الرسالة بيروت.

٧٥. **الأدب المفرد** للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ط دولة الإمارات ١٤٠١ هـ.

٧٦. **سنن ابن ماجه**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ)، ط دار الحديث بالقاهرة.

٧٧. **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن شعث السجستاني الأزدي (٢٥٧ هـ)، ط دار الفكر، بدون.



٧٨. **سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧ هـ) دار الفكر ١٤٠٨ هـ.

٧٩. **سنن الدارقطني**، علي بن عمر (٣٨٥ هـ)، ط دار المحاسن بالقاهرة ١٣٨٦ هـ.

٨٠. **السنن الكبرى** للبيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين)، ط دار الفكر، بدون تاريخ.

٨١. **سنن النسائي**، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، ط دار الكتب العلمية بيروت.

٨٢. **شرح القصائد العشر**، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، (ت: ٥٠٢ هـ): إدارة الطباعة المنيرية. ١٣٥٢ هـ.

٨٣. **شعب الإيمان** للبيهقي ط دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ، ط أولى.

٨٤. **صحيح البخاري**، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٨٥. **صحيح مسلم**، الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١ هـ) دار إحياء الكتب العربية.

٨٦. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمي نور الدين علي أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٢ هـ.

٨٧. **المستدرک علی الصحیحین**، للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) وفي ذيله تلخيص المستدرک للإمام شمس الدين الذهبي ت ٨٤٨ هـ، ط دار الكتب العلمية.



٨٨. **المسند**، للإمام أحمد بن حنبل ط المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.
٨٩. **مسند أبي يعلى الموصلي (٣٠٧)** ط دار القبلة جدة ومؤسسة علوم القرآن بيروت ط ١ - ١٤٠٨ هـ.
٩٠. **المصنف للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١)** ط ٢ المكتب الإسلامي ١٤٠٣.
٩١. **المعجم الكبير**، للطبراني أبي القاسم سليمان بن أحمد ٣٦٠ هـ، ط دار البيان العربي ط ٢، بدون.
٩٢. **الموطأ**، للإمام مالك - برواية الإمام محمد بن الحسن ط دار القلم دمشق، ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م

✿ كتب اللغة :

٩٣. **الإيضاح في علوم البلاغة**، لجلال الدين القزويني (ت ٧٣٩ هـ)، ط دار الكتاب المصري.
٩٤. **بديع القرآن**، لابن أبي الإصبع عبد العظيم بن عبد الواحد القيرواني المصري (ت ٦٥٤)، دار نهضة مصر، ٢، بدون.
٩٥. **البديع في نقد الشعر**، لأسامة بن منقذ (ت ٥٤٤)، ط البابي الحلبي بالقاهرة.
٩٦. **تاج العروس من جواهر القاموس**، للإمام محب الدين أبي الفضل السيد محمد المرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي نزيل مصر (ت ١٢٠٥ هـ)، ط المطبعة الخيرية بجمالة مصر ١٣٠٦ هـ.



٩٧. **تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر**، لابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤)، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.
٩٨. **تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدیع**، الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ)، ط البابي الحلبي ١٣٨٥ هـ.
٩٩. **تهذيب اللغة**، لأبي منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهرى الهروي (ت ٣٧٠)، ط الدار المصرية.
١٠٠. **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، أحمد زكي صفوت، ط المكتبة العلمية بيروت.
١٠١. **خزانة الأدب وغاية الأرب**، لتقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي (ت ٨٣٧) دار صادر بيروت.
١٠٢. **سر الفصاحة**، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦)، ط دار الكتب العلمية ١، ١٤٠٢ هـ.
١٠٣. **شرح البردة**، تأليف السوسي على كان حيا قبل ١١٦١ مخطوط ٥، ٨١١ ش.س ٤٦٨٦ بجامعة الملك سعود.
١٠٤. **الشوقيات**، لأمير الشعراء أحمد شوقي، دار كنوز المعرفة.
١٠٥. **الصناعتين**، لأبي هلال العسكري: حسن بن عبد الله (ت ٣٩٥)، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠١ هـ.
١٠٦. **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني ط دار الكتب العلمية، بدون.



١٠٧. **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح** لتقي الدين السبكي (٧٧٣)، المكتبة العصرية بيروت ط ١٤٢٣هـ، ط ١.

١٠٨. **علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع**، للأستاذ أحمد مصطفى المراغي ط دار القلم بيروت ط ٢، ١٤٠٢هـ.

١٠٩. **الفاصلة القرآنية**، للدكتور عبد الفتاح لاشين ط دار المريخ بالرياض ١٤٠٢هـ.

١١٠. **الفاصلة في القرآن**، محمد الحسناوي، ط المكتب الإسلامي بيروت ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦.

١١١. **الفواصل القرآنية دراسة بلاغية**، للدكتور السيد خضر - مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط ١ ١٤٢٠هـ.

١١٢. **فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح**، لعبد الرحمن الشربيني من شيوخ الأزهر، مطبعة مدرسة والده عباس الأول ١٣٢٦هـ.

١١٣. **القاموس المحيط**، لمجد الدين الفيروزآبادي (ت ٨١٧)، ط المكتبة التجارية الكبرى ط ٥.

١١٤. **الكامل في اللغة والأدب**، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الفكر العربي - القاهرة ط ١٤١٧هـ.

١١٥. **لسان العرب**، لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن منظور (٧١١هـ). ط دار المعارف، بدون تاريخ.



١١٦. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، لأبي الفتح ضياء الدين نصرالله

بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصللي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٩٥.

١١٧. **مختار الصحاح**، للرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت

٦٦٠)، ط مكتبة لبنان.

١١٨. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، للعلامة أحمد بن محمد بن

علي المقرئ الفيومي ت ٧٧٠هـ، ط المكتبة العصرية بيروت.

١١٩. **معجم البلاغة العربية**، د. بدوي طبانة، ط دار المنارة جدة ط ١٤٠٨هـ.

١٢٠. **المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني**، د. إنعام

عكاوي دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ.

١٢١. **مفتاح العلوم**، للسكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت ٦٢٦هـ) ط

المكتبة العلمية الجديدة بيروت.

١٢٢. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، وذكر وزيرها لسان الدين

بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت

١٠٤١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط دار صادر - بيروت - لبنان.

١٢٣. **نهاية الأرب في فنون الأدب**، للنويري: شهاب الدين: أحمد بن عبد الوهاب

النويري الكندي (ت: ٧٣٢هـ).





الفهرس

٢٧	ملخص البحث
٢٨	المقدمة
٣٥	تمهيد معنى التذييل وأهميته دراسته
٣٥	المبحث الأول: تعريف التَّذْيِيل في اللغة والاصطلاح، والفرق بينه وبين الفاصلة
٣٥	■ أولاً: التَّذْيِيلُ في اللغة
٣٦	■ ثانياً: التذييل في الاصطلاح
٣٨	■ ثالثاً: الصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي
٣٩	■ رابعاً: الفاصلة في اللغة والاصطلاح
٤١	■ خامساً: بين التذييل والفاصلة
٤٢	المبحث الثاني: أهميّة دراسة التذييل في القرآن
٤٢	■ أولاً: الاستعانة بهذا العلم على فهم كتاب الله
٤٤	■ ثانياً: إبراز جانب مهم من جوانب الإعجاز القرآني
٤٥	■ ثالثاً: بيان مُشْكَل التذييل
٤٦	■ رابعاً: ردُّ شبهات المستشرقين وأعداء الدين حول الوحدة القرآنية
٤٨	■ خامساً: الاستعانة بهذا العلم في تثبيت حفظ القرآن الكريم
٥٠	الفصل الأول: فوائد التذييل وأصول الوقوف على لطائفه
٥٠	المبحث الأول: فوائد التذييل
٥٠	■ أولاً: التبيين
٥١	■ ثانياً: تقرير المعاني
٥٥	■ ثالثاً: جمال العبارة



رقم الصفحة

الموضوع

- ٥٧ رابعاً: إثراء المعنى ■
- ٦٠ خامساً: حُسن التعليل ■
- ٦٢ سادساً: حُسن الختام ■
- ٦٣ سابعاً: الاحتراس ■
- ٦٥ ثامناً: التنوع والتفنن ■
- ٦٦ تاسعاً: إخراج الكلام مخرج المثل ■
- ٦٨ **المبحث الثاني: أصول الوقوف على لطائفه** ❁
- ٦٨ أولاً: مراعاة مقاصد القرآن الكريم ■
- ٦٩ ثانياً: الدراية باللغة العربية وأساليبها وفنونها ■
- ٦٩ ثالثاً: مراعاة قواعد التفسير وأصوله ■
- ٧٠ رابعاً: النظرة الكلية للسورة ■
- ٧١ خامساً: النظر في السياق ■
- ٧٣ سادساً: التدقيق وصفاء الذهن ومعايشة القرآن مع الاستعانة بالله ■
- ٧٧ **الفصل الثاني: فنون التذييل وسماته** ❁
- ٧٧ **المبحث الأول: من فنون التذييل في القرآن** ❁
- ٧٧ أولاً: التتميم ■
- ٧٨ ثانياً: التصدير ■
- ٧٩ ثالثاً: التوشيح ■
- ٨١ رابعاً: التمكن ■
- ٨٢ خامساً: الإيغال ■
- ٨٤ **المبحث الثاني: سمات التذييل** ❁
- ٨٤ أولاً: مراعاة الفاصلة ■



رقم الصفحة

الموضوع

٨٤	 ثانياً: التناسب ■
٨٦	 ثالثاً: التعميم ■
٨٧	 رابعاً: الوضوح والبيان ■
٨٧	 خامساً: التكرار ■
٨٨	 سادساً: العمق والدقة ■
٨٨	 سابعاً: التنوع والتفنن ■
٩٤	 ثامناً: التناسق ■
١٠٠	 الخاتمة ❁
١٠٤	 المصادر والمراجع ❁
١١٨	 الفهرس ❁

